حزب البعث العربي الإشتراكي

القيادة القومية



أمة عربية واحدة

ذات رسالة خالدة



بعض المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الإشتراكي

التي أقرّها المؤتمر القومي السادس في تشرين الأول ١٩٦٣



حزب البعث العربي الاشتراكي   امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة

القيادة القومية

بعض المنطلقات النظرية

التي اقرها المؤتمر القومي السادس في تشرين الاول ١٩٦٣

مقدمة

ـ ١ ـ

يجدر الانتباه الى الفرق بين نظرية نضالية تكونت نتيجة مواجهة للواقع والتصاق به وخلال سلسلة من المعارك العنيفة بين الجماهير وبين اعدائها والمعيقين لتقدمها، وكان الدافع اليها التصدي لحركة التاريخ ودفعها الى الامام وبين نظرية تكونت بين الجدران الضيقة وكان الدافع اليها الترف الفكري او المماحكة العقلية الصورية.وغياب هذا الفرق عن الاذهان في كثير من الاحيان يجر الى منزلق العجز عن الرؤية الكاملة والى اجتثاث الاشياء من الظروف التاريخية التي نبتت فيها.

ان النظرية النضالية لا يمكن ان تخلق بين يوم وليلة او خلال سنة او سنتين وإنما تتبلور في الاذهان وتتركز نتيجة تحولات تاريخية تواجه النضال الجماهيري ويكون مجبرا على تحديد موقف منها، موقف حي وحاسم في آن واحد.ونتيجة لذلك تأخذ تلك النظرية في النمو والتبلور وتصبح دليلا لتحرك الجماهير الزاحفة نحو اهدافها.ان اية نظرية نضالية لا يمكن ان تقبل بسهولة قوانين اجتماعية تكونت في زمان ومكان معينين، لان الواقع الاجتماعي واقع حي، وفي تغير مستمر.والقانون العلمي وان كان يستند الى منطلقات مبدئية ثابتة في جوهرها لا يعطي نفس النتائج عندما تتغير الظروف المصاحبة للتجارب التي اعطت مثل هذا القانون.وبالتالي فان الفكر الثوري سيجد نفسه يبني نظريته لبنة لبنة بالرغم انه بالاساس ليس خالي الذهن او معزولا عن التراث العالمي الانساني.ان الفكر الثوري لا بد ان يمتحن ذلك التراث وان يضعه على محك الواقع.والفكر الثوري اذا لم يفعل ذلك فانه يكون قد انساق الى استسلامية علمية، وليس الى علمية.ان هناك فرقا اكيدا بين العلمية وبين الاستسلامية العلمية.ان الاخيرة تجر الى القوالب الجامدة الجاهزة والتحجر الفكري وبالتالي الانعزال عن حركة التاريخ.

ان حزبنا لم ينشأ في عزلة عن التراث العالمي او تجارب الانسانية.لقد نشأ حزبنا في مفترق طرق للحركة الثورية العالمية، وكان اول الحركات التي ساهمت في نقل ذلك الـتراث والاسـتفادة منه.

لقد نشأ حزبنا في فترة كانت المنعرج للحركة الاشتراكية في العالم .. وقد اختار حزبنـا ان لا يكون منفعلا انفعالا سلبيا بتلك الحركات وكان موقفه منها موقف الايجابي الواثق بنفسه.فقد رفض الاشتراكية الديمقراطية الاصلاحية، كما رفض ايضا التطبيق الستاليني للاشتراكية وما صاحب ذلك التطبيق من ارهاب وتلاعب بمبادئ الاشتراكية نفسها، كمـا رفـض بشـدة انفعاليـة الحركـات الشيوعية في بلادنا بتلك التطبيق.

ان حزبنا كان من اول الحركات العالمية التي التزمت بالموقف الاشتراكي الصحيح، اذ اعتقدت بان الربط الاممي للاشتراكية في ذلك الحين وبالشكل الذي طرح به، كان ربطا مصطنعا وكان يخدم استراتيجية مرحلية، وان التطبيق الحقيقي للاشتراكية الانسانية لا يمكن ان يكون الا على اسـاس مراعاة الخصائص القومية وازالـة التناقضـات المفتعلـة والتـي تخـدم الطبقـات المسـتغلة واستغلالها.وان الانسانية والعالمية لا يمكن ان تقوم الا على اساس احترام تلك الخصائص واتاحة الفرصة امامها للتفاعل الودي البناء.ان انسانية فكرتنا انسـانية اصيلـة لا ترتبـط بمرحلـة او استراتيجية معينة.

ان التمييز بين ما هو مرحلي وبين ماهو مرتبط باستراتيجية معينة وبين ماهو دائم ومرتبـط بمواقعها، قد قاد حزبنا الى فكرة الحياد الذي كان في حقيقتـه الرفـض للديموقراطيـة الغربيـة واشتراكيتها الاصلاحية والرفض ايضا للتطبيق الستاليني للاشتراكية، ذلك التطبيق الذي قد تكـون الظروف اجبرت الاتحاد السوفيتي عليه.ولذلك لم تكن فكرة الحياد في حزبنا انتهازية سياسية بين معسكرين وإنما كانت موقفا حضاريا استلزمه التطور التاريخي للانسانية وامكاناتها المتجـددة.واذا كان الفكر التقدمي اليوم في العالم قد ادرك هذه الحقائق واصبحت مسلمات بديهية فان حزبنا كـان له شرف السبق رغم ما عاناه من عنت لا زالت آثاره موجودة.وان سوء الفهم المتبقي الى اليـوم لحركتنا في العالم راجع بعضه الى مقاومة الذيلية الستالينية لنا وحربها بعنف لكل مـن يخـالف وجهة نظرها، ولذلك كانت وجهة نظرنا ان ما يجمع بيننا وبين التراث العالمي هو العلم.ولا توجـد اية نظرية تستطيع الادعاء بأنها كل العلم.انه من الممكن ان تكتشف قوانيـن اجتماعيـة جديـدة

وتنطلق من اساس علمي الا انها لا تستطيع ان تكون قد استوعبت العلم كله وان تصبح مغنية عنه.ان العلم رحب فسيح وسيبقى رحبا فسيحا لان الحياة معين العلم رحبة فسيحة.

من هذه الانطلاقات بدأ حزب البعث العربي الاشتراكي حركته التاريخية الفكرية والنضالية.فلقد تبنى العلمية الا انه رفض بشدة الاستسلامية العلمية.وقد ادى به هذا المنهج العلمي الى اكتشافات حقيقية في الواقع العربي اصبحت اليوم مسلمات، واستطاع بذلك ان يقود النضال العربي، وان يسدد خطاه.وهو بهذا المنهج استطاع ان يكشف صبيانية بعض اليساريين وأمية اليمين.

انه بهذا المنهج استطاع ان يكشف لاول مرة المحتوى الحقيقي للقومية في الوطن العربي وفي آسيا وفي افريقيا عندما قال: ((ان العرب لا يطمحون الا لجمع شملهم وتوحيد اقطارهم ورفع نير الاجنبي عنهم))[1].ان القومية في آسيا وافريقيا اداة تحرر من الاستعمار ومن كل استغلال داخلي.ان هذه الحقيقة التي اصبحت بديهية اليوم في الشرق والغرب كانت تلاقي المعارضة الشديدة من اولئك الذين يلبسون الثياب المستعارة ويعتنقون الاستسلامية العلمية.فكانوا يقولون: بأن الدعوة القومية دعوة بورجوازية عنصرية وإنها مضادة للانسانية ويتناسون بانه ((ليس في قوميتنا ما يسمح لرجل ان يفكر في دفع خطرالعرب ووضع حواجز لتوسعهم وطغيانهم بينما هم يشكون اليوم من حكم الامم الاخرى لهم)).في حين كانت الدعوة الانسانية، بالشكل الذي استعملت فيه، فكرة استعمارية تمهد لدمج بعض اجزاء الوطن العربي مع البلدان الاستعمارية[2] كي تخدر مقاومتها ضد الاستعمار والدمج.ولفقدان المنهج العلمي عندهم عجزوا عن رؤية انسانية القومية العربية بطبيعة كونها بالاساس موجهة ضد الاستعمار والاستغلال بجميع اشكاله وبالتالي فان المعنى الايجابي لها كان التضامن المستمر مع الحركات التحررية في العالم.فهي رابطة مصيرية للجنس البشري في نضاله المستمر ضد الاستغلال بجميع اشكاله السياسية والاجتماعية، انها رابطة الحب التي تجمع البشر في نضالهم ضد الطبيعة ومحاولة السيطرة عليها.ولهذا السبب وبهذا المعنى قال حزبنا بان ((القومية التي ننادي بها هي حب قبل كل شيء.هي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته لان الوطن بيت كبير والامة اسرة واسعة))[3] وهو يدرك ان هذا

---

[1] في سبيل البعث (طبعة ثانية) ١٩٦٣، ص٦٦.انظر ايضا تطور معنى القومية: منيف الرزاز.

[2] انظر: ابو القاسم الشابي: اغاني الحياة: قصيدة ((الثعبان المقدس)).

[3] في سبيل البعث (طبعة ثانية) ص ٤٥.

المحتوى للقومية في آسيا وافريقيا محتوى جديد وهو تطور تاريخي فـ ((معنى القومية الجديدة في هذه الاقطار الاسيوية الافريقية المتحررة، قومية متحررة، محررة اشتراكية، مؤمنة بشعبها موحدة له، مؤمنة بشعوب العالم، مؤمنة بالتعاون الدولي، مؤمنة بالسياسة المستقلة غير العدوانية، كافرة بالاستعمار، كافرة بالعنصرية، كافرة بالاستغلال، كافرة بالاستعباد))[1] لماذا ؟. لانها ضحية للعدوان، ضحية للاستعمار، ضحية للعنصرية، ضحية للاستغلال، ضحية للاستعباد.

كما استطاع حزبنا ان يكتشف لاول مرة ايضا بان ما تحتاجه الامة العربية ليس اصلاحات اقتصادية، او حركة سياسية فحسب وإنما كانت في حاجة ايضا الى روح جديدة، ونفسية تعيد الى الامة العربية ثقتها بنفسها وبامكاناتها الذاتية.

لقد سير حزبنا اغوار المرحلة واكتشف مواطن الضعف فيها وتعرف على الدواء الحقيقي لامراضها.

لم يكن حزبنا حركة سياسية فحسب وإنما كان حركة حضارية شاملة بعثت الحياة الجديدة في الامه وفجرت امكاناتها ونفخت روح التمرد على كل ما يعوقها عن التقدم في السياسة والفكر والاجتماع.لقد كانت نضالا على جميع المستويات، فخاطبت الجيل الجديد وحركت اعماقه فاندفع يمزق البالي من الثياب والزائف من القشور. ((يبقي على النظرة المنطلقة، على روح الكفاح .. يقضي على النظرة النفعية .. يحيي فتوة النفس بشتى الوسائل، بالفن والفكر))[2]

كما استطاع لاول مرة ان يجرد الحكم اليميني من اقوى اسلحته حين ربط ربطا عضويا عميقا بين القومية العربية والاشتراكية، وفتح الباب على مصراعيه للجماهير الواسعة المستغلة لدخول المعركة والمسك بزمام مصير الامة، وافهمها ((ان الخلاص لن يكون الا على يد الشعب، على يد الكثرة الساحقة من ابناء شعبنا، على يد الكثرة الكادحة والمظلومة المستغلة، ليس لانها اكثرية فحسب، بل لانها تعاني الظلم والاستغلال وفقدان الحرية وجرح الكرامة في جميع النواحي الانسانية والقومية.اذن فظروفها واوضاعها وقوتها قد هيأتها لان تكون هي محرك التاريخ.لان تكون المنقذة للامة، لان تكون طليعة الامة المناضلة وصورتها الصادقة))[3].

---

(1) منيف الرزاز: تطور معنى القومية (طبعة ٢) ص٩٥.

(2) في سبيل البعث (طبعة ٢) ص ٣٨.

(3) في سبيل البعث (طبعة ٢) ص١٠٨.

لقد ادرك حزبنا ان طبيعة المعركة تقتضي النفي التام لتلك القيادات التقليدية لانها تشوه الحركة التاريخية لامتنا وقوميتها، ولان تلك القيادات كانت ((تسبغ على قوميتنا صفاتها هي وروحها هي: صفات الطبقة المترفة وروح الطبقة الشائخة الهرمة، فكانت القومية العربية والكفاح القومي في ذلك الحين على ايدي اولئك الزعماء الذين كانوا يمثلون عصرا مضى ويفقدون قوة التأثير وقوة الجاذبية لجماهير الشعب وجمهور الشباب، وكانت القضية القومية التي هي قضية حياة أو موت في مستوى متخلف لا قيمة للفكر فيه ولا صلة له بالعصر الذي نعيش فيه عدا عن مظهره المنفر، مظهر القومية المتغطرسة، القومية السلبية، التي لا تشعر بنفسها الا اذا خاصمت غيرها))[1].لذلك لم يكن التفكير الاشتراكي في حزبنا ((من الافكار المجردة، من النزعة الانسانية العامة، النابعة من مجرد شعور بالشفقة، وإنما اتى من صميم الحاجة ـ اتى بدافع الحاجة الحيوية ـ لننقذ امتنا من الفناء.لان معركة الامة العربية مع مستعمريها واعدائها كانت معركة بقاء او فناء.فكان التفكير الاشتراكي، وكان اكتشاف دور الطبقة العاملة الكادحة العربية في هذه المرحلة التاريخية من حياتنا بدافع الدفاع عن البقاء))[2].

كانت الفكرة الاشتراكية في حزبنا نتيجة تحسس عميق وصادق لحاجات المعركة العربية ضد الاستعمار وضد الرجعية.وهنا يتميز المنهج العلمي لحزبنا في تحليل الواقع عن الاستسلامية العلمية للشيوعية في بلادنا.ان مقاومة الاستعمار بلورت فكرة الصراع الطبقي ذي النوعية المتميزة في بلادنا لان الطبقات الاقطاعية والبورجوازية والبيروقراطية كانت عاجزة عن مقاومة الاستعمار وصيانة ارضنا وقوميتنا من الغزو الاستعماري.ان الصراع الطبقي بطبيعته في وطننا لم يتبلور نتيجة انقسام حاد في المجتمع بين قلة من الرأسماليين وطبقة من العمال.وإنما برز نتيجة عجز طبقات مهترئة اقطاعية وبورجوازية عن قيادة وحماية ثروة البلاد من الغزو الاستعماري الذي حطم الاسس والمؤسسات القديمة للانتاج الوطني وتعمد الابقاء على هذا التحطيم، وعن عجزها في اقامة بناء جديد بديل لتلك الاسس والمؤسسات القديمة، ينقذ الجماهير الواسعة من الجوع والفقر ويتيح لها فرص العمل والانتاج ويحل ذلك التفاوت القائم بين نسبة زيادة السكان وزيادة الانتاج القومي.

---

[1] في سبيل البعث (طبعة ٢) ص ١٠٨.

[2] في سبيل البعث (طبعة ٢) ص ١٠٨.

لقد ادرك حزبنا الخصائص النوعية للصراع الطبقي في بلادنا وفي كل بلدان آسيا وافريقيا التي خضعت للنظام الاستعماري ((فليس فقط الرأسماليون والاقطاعيون هم اعداء الشعب العربي بل ايضا هم السياسيون الذين يتمسكون بالتجزئة لانها تفيدهم شخصيا، وليس هؤلاء فحسب بل اولئك الذين يسايرون الاستعمار بشكل من الاشكال واولئك الذين يعادون الفكر والعلم والتطور والتفتح والتسامح والذين يقاومون او يحولون دون تحرر امتنا))[1].

لماذا يكون المتمسكون بالتجزئة اعداء للشعب يصنفون ضمن الطبقة المستغلة ؟ لان التجزئة احتياطي للاستعمار، وهي تحطيم لجبهة الجماهير العربية وقسم لنضالها المضاد للاستعمار.ان الذين يتمسكون بالتجزئة ويتغذون منها ولو ادعوا الاشتراكية والتقدمية يكونون عمليا ضد الاشتراكية لانه لا يمكن اقامة اشتراكية قبل القضاء نهائيا على الاستعمار ونفوذه بجميع اشكاله والوانه، وان الجماهير العربية لن تستطيع مواجهة الاستعمار مواجهة جدية ونهائية الا اذا وسعت جبهة القتال معه .. في وحدة عضوية ارادية، وحدة نضال ووحدة مصير.ولذلك تكون الحركات التي وضعت في اهدافها الاشتراكية دون الوحدة حركات اصلاحية عاجزة عن مقاومة الاستعمار، وبالتالي عاجزة عن مقاومة البورجوازية والاقطاع، وبالاجماع حركات غير ثورية لم تعط لمشاكل الواقع العربي الحل الجذري الكامل.وهو ما يفسر تعثرها وعجزها عن اثارة الجماهير الكبيرة في وطننا لانها تتخلى عن مبدأ اساسي للاشتراكية الا وهو توحيد نضال الجماهير ضد الاستعمار.

ولماذا كان اولئك الذين يعاودون الفكر والعلم والتطور والتفتح والتسامح ضمن طبقة اعداء الشعب اعداء الجماهير ؟ لان الذين يعادون العلم والتطور عمليا يكونون في صف الاستعمار، لاننا لا نستطيع مقاومة الاستعمار الا اذا طورنا كل مؤسساتنا الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.ان الوقوف ضد التطور يعني الوقوف بجانب الاستعمار في معركته مع الجماهير العربية.كما ان اولئك الذين يثيرون النزعات الطائفية ويتغذون منها يكونون سلاحا خطيرا في يد الاستعمار لضرب وحدة الجبهة الداخلية للجماهير.ان هولاء قد صنفهم البعث العربي ضمن اعداء الشعب وطبقة المستغلين ولو اقسموا الايمان المغلظة بأنهم ضد الاستعمار، اذ العبرة ليست بابداء النوايا الحسنة وإنما بالمواقف العملية والنتائج المترتبة على ذلك.

وبذلك المنهج ايضا استطاع حزبنا ان يكشف للجماهير العربية الوحدة العربية وما تفجره من امكانات.فـ ((الوحدة ثورة تأتي لتزيل التشويه وتغير الواقع وتكشف عن الاعماق، وتطلق القوى

---

[1] في سبيل البعث ــ طبعة ٢ ــ ص ٢٢١.

الحيسة والنظرة السليمة فلا يجوز ان نتصور الوحدة كعملية جمع منفعل لانها ليست وجدة لاجزاء سليمة ولا نتيجة لتجزئة حديثة طارئة .. انها فاعلة خلاقة فيما بين الاجزاء وفي داخل كل جزء كضرورة حيوية لهذا الجزء نفسه قبل ان تكون مطروحة بشكل علاقة بين الاجزاء للتعاون والتضامن.والوحدة لا تفقد الجزء شخصيته، بل تؤكدها وتعمقها وتعطيها حقيقتها واصالتها وابداعها عندما تضع الجزء في مكانه الحي كجزء من كل))[1].((ان امكانيات الامة الواحدة ليست مجموعا عدديا لامكانيات اجزائها في حالة الانفصال، بل هي اكثر في الكم ومختلفة في النوع))[2].و ((هي قبل كل شيء نضال ووحدة في النضال))[3].و ((النضال هو المعبر الصحيح عن الامة.فاننا في النضال نبني اسس حياتنا المقبلة وفي النضال تزول عوامل الانحطاط، وفي جو النضال الجدي لا يبقى نفع خاص ولا تبقى مادة ولا يبقى تنافس حقير، ولا تبقى انانيات، لان النضال يبني مستوى جديدا اما ان ترقى اليه النفوس او تسقط من الحساب.ومن ناحية عملية ان تجزئة النضال اكبر سلاح بيد الاستعمار))[4].

((وحزبنا عندما ربط الوحدة العربية بالاشتراكية لم يتعسف ولم يرتجل بل وجد في ذلك السبيل الوحيد لكي تصبح الوحدة في حياة الجماهير حقيقة حية متحركة يطالب بها كل عامل عندما يطالب بخبزه وبزيادة اجره وبالدواء لابنائه.وعندما يطالب كل فلاح فقير ومظلوم باسترداد حقه في انتاجه وبرفع الظلم والاستعباد عن كاهله.هكذا جعلنا الوحدة العربية مطلبا حيا واقعيا يداخل افراد الشعب العربي في ظروف حياتهم اليومية وفي ابسط شيء في حياتهم وهو حاجتهم المادية))[5].

وان الوحدة ((ليست شيئا آليا يبلغ بالتوحيد السياسي عندما تتهيأ الظروف وتسنح الفرص وإنها لا تحتاج الى تهيئة سابقة اللهم الا التهيئة السياسية بالمفاوضات والمناورات .. فان الوحدة في نظرنا فكرة اساسية لها نظريتها كما للحرية والاشتراكية نظريتهما ولها مثلها نضالها المبني

---

[1] في سبيل البعث ــ طبعة ٢ ــ ص ٣٣٩.

[2] في سبيل البعث ــ طبعة ٢ ــ ص ٣٤١.

[3] في سبيل البعث ــ طبعة ٢ ــ ص٣٣٥.

[4] في سبيل البعث ــ طبعة ٢ ــ ص ٢٣٦.

[5] في سبيل البعث ــ طبعة ٢ ــ ص ٢١٩.

اليومي المنظم المستمر، ومراحلها العملية التي تزيد في قوة النضال وتمهد الطريق للنصر الاخير))[1].

اذا كان حزبنا استطاع بذلك المنهج العلمي ان يحدد الاهداف للجماهير العربية فانه ايضا حدد الاداة التي يتم بواسطتها التغيير.هذه الاداة هي الحزب الثوري الذي يحقق مستقبل الامة فيه: ان الامة العربية في مرحلتها هذه ((انما تحتاج الى حزب، الى حركة تمثل بالدرجة الاولى عنصر الروح ... والحياة ... لتشع منها فيما بعد على المجموع الاكبر، والحزب الحقيقي، والحزب الحي الذي يمكن ان يؤدي رسالة في العصر الحاضر للامة العربية هو الذي يجعل هدفه خلق امة او بعثها شريطة ان يحقق هذا الشرط في نفسه اولا، أي ان يكون هو امة مصغرة للامة الصافية السليمة الراقية التي يريد ان يبعثها))[2].وبالاجمال فانه حزب الانقلاب، على نفسه اولا ثم على الاوضاع الفاسدة حوله ثانيا.انه حزب الطليعة الواعية المستوعبة للاوضاع ولسير التاريخ، والمؤمنة بالتقدم وبحتميته.

وبذلك المنهج ايضا استطاع ان يكتشف بان الاسلوب الذي يحدث ذلك البعث الجديد، ويؤدي الى ذلك الانقلاب لا يمكن ان يكون الا الثورة، الثورة بكل ما تزخر به من معان لما يصاحبها من عنف وصراع، لان الاوضاع الفاسدة ((تتمثل في اشخاص، وهي عبارة عن عقلية اشخاص ومصالحهم وعاداتهم.

يألفون هذه الاوضاع ويحرصون عليها ويدافعون عنها، فلا يمكن محاربة هذه الاوضاع الا من خلال الذين يتمسكون بها، ويستفيدون منها.ان حركة الانقلاب لا بد ان تهز كل الذين يستسلمون للاوضاع الفاسدة، ولا بد ان تعاكسهم حتى تخلق في الامة رد فعل للمرض عندما يستيقظ الفكر الحر والخلق القويم، وتستيقظ الروح السليمة.فالانقلاب ليس له الا معنى واحد واضح صريح هو الصراع والمعاكسة للعقلية والخلق والمصالح السائدة، والبعث يولد من هذا الصراع))[3].((لا بد اذن من غليان، لا بد من مستوى مرتفع، مضطرب متحرك، لا بد من مشاق

---

[1] في سبيل البعث ـ طبعة ٢ ـ ص ٢٤٠.

[2] في سبيل البعث.

[3] في سبيل البعث ـ طبعة ٢ ـ ص ١٧٣.

نجتازها، لا بد من سير طويل، يدخل فيه الفكر مع الخلق مع الايمان، وان نجرب، نجرب ونخطئ ونصحح اخطاءنا ... فتتوحد الامة في طريق النضال والمشاق))[1].

ان هذا الاسلوب وحده هو الذي يوصل الى رشد الجماهير وتوعيتها.ان الخطب الرنانة والمواعظ الحسنة لن ترفع من وعي الجماهير وترجع لها الثقة بنفسها، وإنما الصراع والاحداث والانتكاسات والانتصارات هي التي ترفع من مستوى الجماهير وتضعها في المستوى الذي يمكنها من مسك عجلة التاريخ ودفعها الى الامام.

بهذا المنهج العلمي استطاع حزبنا ان يعي المرحلة التاريخية وان يجسد اماني الجماهير في شعاراته التاريخية في الوحدة والحرية والاشتراكية.

واذا كان اعداء الثورة العربية في الماضي قد شككوا في هذه الشعارات وفي واقعيتها فانهم اليوم اعجز ان يستمروا في ذلك التشكيك.

ان هذا العجز الناشئ عن تشبث الجماهير بها كحقيقة راسخة قد دفعهم الى تبديل تكتيكهم وتغيير اسلوبهم في الهجوم عليها.لقد اصبحوا يسلمون بها بل ويزاودون عليها ولكنهم في آن واحد يعملون على سلبها محتواها والهجوم على القوى التاريخية التي ركزتها وجسدتها عمليا في نضالها.وان واجب حزبنا اليوم ان يكشف هذه الخطط الخبيثة والاساليب الماكرة.

ولا يستطيع ان يضع هذه الشعارات التاريخية موضع التنفيذ الا تلك القوى التي طرحتها وركزتها في اذهان الجماهير، لانها اقدر على استيعابها واحرص على حمايتها، لانها تمثل شرطا من شروط حياتها، وصفحة من صفحات تاريخها.

ان حزبنا اذ تبنى العلمية ورفض بشدة الاستيسلامية العلمية ونبه الى مخاطر التفكير المجرد[2]استطاع ان يحلل الواقع العربي وان يكتشف نوعية معضلاته، وان يصوغ الحلول التي تلائم تلك المعضلات، وان التاريخ اثبت ويثبت اليوم صحة ذلك التحليل وقدرته على استيعاب المشكلة.ان حزبنا ماض الى النضال دون هوادة يسلحه منهجه العلمي وتصميمه الواعي.

الا ان حزبنا لن يستطيع التغلب على المصاعب ويجتاز العقبات الا اذا توفرت لديه اخلاقية عالية تتمثل في اختيار الحقيقة والنضال من اجلها باستمرار، ولن يستطيع حزبنا الارتفاع الى هذا المستوى الا اذا برهن على ((عقلية جديدة، على روح جديدة، على خلق جديد، لا تجمعه بالواقع

---

[1] في سبيل البعث ــ طبعة ٢ ــ ص ١٧٦.

[2] في سبيل البعث ــ طبعة ٢ ــ صفحات: ٤٢ ــ ٤٣ ــ ٥٨ ــ ٦٢.

الفاسد اية رابطة جامعة.ان لذلك علائم ودلائل وليس من الصعب ان نلمس الدلائل التي تدلنا على ان هذا التركيب الجديد، هذه الامة المصغرة، هذا الحزب، هو فعلا انقلابي ام انه لا يحمل من الانقلاب الا اسمه وعنوانه.وهذه الدلائل هي ان تتحقق في الحزب نفسه، في اخلاق اعضائه، واسلوب عملهم وفي طريقتهم نحو تحقيق اهدافه، ان تتحقق كل الفضائل التي يبغون خلقها في المجتمع المقبل، لا يمكن ان يكون الحزب مماثلا مشابها متجانسا مع الواقع الفاسد المريض، وان يدعي ان باستطاعته خلق مجتمع صحيح جديد.فكما نريد ان تكون امتنا في مستقبل قريب امة منسجمة حرة طليقة من كل الاعتبارات البالية، يحتل فيها المواطن المكانة التي تؤهله اليها كفاءته وخلقه واخلاصه، كذلك يجب ان يكون الحزب الانقلابي مجالا لظهور الكفاءات المخبوءة في الامة، اذا لم يكن مجالا لاحتلال كل فرد حسب ما تؤهله اليه قدرته لا اسمه ولا اسم عائلته، اخلاصه لا وجاهته او وسائله المصطنعة الخارجية .. اذا لم يكن الحزب منذ بدئه في طريق النضال قادرا على تحقيق هذه الفضائل التي يدعو اليها الشعب ويسعى الى تحقيقها في الامة فكيف يمكنه ان يحققها فيما بعد ؟))[1].

ان حزبنا اذا لم يتسلح بأخلاقية متينة فانه ينقلب من حزب ثوري وحركة تاريخية الى عصابة سرعان ما يدب التناقض فيها، وتتضارب المصالح وتصبح حربا على بعضها وتتحطم كالزجاجة تفوح منها عفونة المصالح الشخصية والانانيات الضيقة.

ان اخلاقية النضال والاخلاص للحقيقة هما الدرع الذي يحمي حزبنا ويجنبه التصدع والفناء.

ان حل التناقضات في حزبنا لا يمكن الا ان يكون عن طريق التفاعل الايجابي والتصحيح المتبادل ويستهدف توحيد الطاقات فيه والدفع به الى الامام.ان اسلوب الصراع مع اعداء الحزب واعداء الجماهير لا يمكن ان يكون هو نفس الاسلوب لحل بعض التناقضات التي ينقلها الوسط المتخلف الى داخل الحزب.

ان اهمال بين هذين الاسلوبين لا يكون الا خيانة لحزبنا ولمهمته التاريخية.وهو انزلاق الى مستنقع السياسة الاحترافية، والبهلوانية المغامرة.ان على حزبنا ان يحذر هذه الانتهازية المخربة وان يقف امامها بحزم لانها لعبة خطرة والقاء بالشرارة الى الهشيم.

بهذا الاسلوب وحده يستطيع حزبنا ان يواجه الصعوبات وان يتخطى العقبات ويستعد للمعارك المصيرية التي ستواجه الجماهير العربية وثورتها.

---

[1] في سبيل البعث ــ طبعة ٢ ــ ص ١٥٧.

تتميز ايديولوجية حزبنا بصفتين اساسيتين: العلمية والثورية.

ان ايديولوجيتنا القومية الاشتراكية هي ايديولوجية علمية، والعقل العلمي بطبيعته ينفتح دائما على الواقع ويتغذى من كل التجارب ويرفض الاطر المسبقة.

ان الصفة العلمية لهذه الايديولوجية هي وحدها الكفيلة باخراج الشعب العربي من عقلية القرون الوسطى التي تنيخ على تحركه وتمنع انطلاقه الحر المبدع.ففي اوروبا الغربية انبثق النضال الاشتراكي في ظروف كفاح بين البورجوازية والطبقة العاملة، وكانت هذه البورجوازية قد حققت ثورة اقتصادية وثقافية في آن واحد ضد الاقطاع فجاء النضال الاشتراكي مستندا على تقاليد فكرية نيرة حرة سبق ان حققتها البورجوازية.اما في وطننا العربي فان النضال قومي واشتراكي في آن واحد، ومطالب بتحقيق ثلاث ثورات دفعة واحدة: ثورة علمية على الصعيد الفكري وثورة على الصعيد الاقتصادي لتغيير علاقات الانتاج الاقطاعية وشبه الرأسمالية بعلاقات اشتراكية، لتركيز قاعدة مادية لانطلاق اقتصادي جدي، وثورة ضد التجزئة وما تحمله من رواسب في جميع المستويات.لذا فان الحركة الثورية في اقطارنا المجزأة والمتخلفة مطالبة بتحقيق هذه الثورات في آن واحد، وان أي تغيير — مهما كان جذريا — في الميدان الاقتصادي سيكون مبتورا ومشوها اذا لم يترافق بثورة علمية على الصعيد الفكري والثقافي وبنضال دؤوب لتحقيق الوحدة.الاشتراكية ليست مجرد خلق وضع اقتصادي مطابق للعدل فحسب، بل هي ايضا وقبل كل شيء نظرة الى الانسان والمجتمع تستند على منطلقات علمية كرست الايمان بقدرة الانسان على تحديد مصيره وتشريع نظمه وتنظيم امور المجتمع الانساني تنظيما عقليا حرا.ان الصفة العلمية لايديولوجية حزبنا، ستوفر لنا مجابهة كاملة وجذرية لجميع جوانب التخلف في الحياة العربية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وان أي محاولة للتنكر للجوانب الثقافية والاجتماعية من الايديولوجية سيؤدي الى خلق مجتمع هجين مشوه، يتقدم فيه الجانب الاقتصادي، في حين تبقى الجوانب الاخرى للمجتمع العربي راكدة متخلفة عفنة.فالعقلية ستكون وحدها الكفيلة بجعل الثورة العربية المعاصرة ثورة كلية، يتواكب فيها التغيير الثوري في جميع مستويات الحياة العربية وجوانبها.

ان نقد جميع المجتمع العربي الراهن وتقاليده، نقدا علميا صارما، وتحليلها تحليلا عميقا نفاذا هو وحده القادر على تهيئة الظروف التي تمكن من اقتلاع جميع الجوانب السلبية المعطلة

والكابحة في هذا المجتمع.ان تفجير الاطر التقليدية للمجتمع العربي سيؤدي الى اسراع وتيرة العمل لبناء مجتمع عربي عصري كليا، وبدون هذا التفجير فان امكانية نمو منتظم وسريع وجذري في البنيان الاجتماعي للشعب العربي سيغدو امرا مشكوكا به ان لم نقل مستحيلا كما انه في نفس الوقت سيلقي بظلاله السلبية المعطلة للنمو الاقتصادي الجاد السريع.

والسمة الثانية لايديولوجية حزبنا هي الثورية، لان منطلق التفكيرالقومي الاشتراكي العلمي في التحليل الاجتماعي والاقتصادي هو منطق جدلي، ينطلق من اقرار وجود تناقض في المجتمع القومي ووجود صراع بين الطبقات يتميز بنزوعه الى تحقيق هدفين في آن واحد: الوحدة القومية والقضاء على الاستغلال.وان هذا التناقض، لن يحل تلقائيا، ولن ينتهي بالارادة الطيبة الخيرة لفئة من المصلحين الخيرين، ولا عن طريق تكديس اصطلاحات جزئية في اطار المجتمع الذي نناضل ضده.

ان الانتقال من نظام اجتماعي الى نظام اجتماعي اخر (بصورة خاصة في البلدان المتخلفة) لا بد ان يتم بواسطة وثبة نوعية (لا درجية) تقضي على الاسس الاقتصادية البالية للمجتمع، وعلى البنيات السياسية والقانونية والاجتماعية والثقافية.

ان ايديولوجية حزبنا ترفض، بلا تردد وبحزم، الآراء الاصلاحية الانتهازية التي تروج لتدرج بطيء طويل للتغيير الاجتماعي.ان انتزاع الاصلاحات الجزئية الثانوية وتكديسها لن يؤدي عمليا، وبأي شكل من الاشكال، الى تحويل كامل لاطار المجتمع العربي الراهن ومحتواه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، كما ان التيار الاصلاحي يعكس آثاره على السلبية على تركيب الحزب الثوري، ويدفعه الى التأقلم رويدا مع الاطار التقليدي للمجتمع الراهن والاستسلام له بالنتيجة.

واذا كان للتيار الاشتراكي الاصلاحي بعض الظروف الموضوعية التي هيأت لوجوده في اوروبا الغربية فان مثل هذا التيار في البلاد المتخلفة عموما، وفي الوطن العربي خصوصا، ليس له أي مبرر موضوعي في هذا الموقع، لذا فان مثل هذا التيار في الحركة الاشتراكية في الوطن العربي لا يمكن ان يفسر الا بتسلل العقلية المحافظة والانتهازية الى قلب التيار الاشتراكي الثوري، ومحاولتها لتصفيته من الداخل.

ان الايديولوجية الثورية هي الحل الطبيعي والوحيد لمشاكل بلد متخلف، ففي عالمنا الراهن حيث تتسع الهوة بين البلدان المتخلفة والبلدان المتقدمة، ستكون ثورة البلدان المتخلفة نتيجة للتناقض بين التركيب التقليدي لتلك المجتمعات وبين النمو الكبير للاقتصاد في البلاد المتقدمة التي

ترتبط بها المجتمعات المتخلفة بروابط التبعية او العبودية بالاضافة الى التناقض الداخلي الذي يعيشه المجتمع المتخلف.ان ايديولوجية ثورية واضحة هي وحدها القادرة على تبديل النظام القديم الذي يرسف فيه الشعب العربي وبالتالي تهديم مؤسسات هذا النظام وقواعده واطره، وخلق بنيات اجتماعية واقتصادية وثقافية جديدة تماما في المجتمع العربي.

الوحدة العربية

ـ ١ ـ

نشأ الحزب في ظروف كان يسود فيها المفهوم التقليدي للقومية العربية، وكانت الدعوة للقومية العربية والوحدة العربية في اكثر الاحيان اداة ديماغوجية للاجهزة السياسية التقليدية، تضلل بها الجماهير لكي تكرس التجزئة والواقع المتخلف في آن واحد.

ولقد كان حزب البعث العربي الاشتراكي اول حركة في الوطن العربي تحسست فعلا جوهر القضية العربية ووضعتها في سياقها التاريخي والثوري:

أ ـ لقد اكد الحزب في المرحلة الاولى من نضاله اولوية الوحدة، واعطاها تقدما ورجحانا معنويا على الاشتراكية والحرية، واعتبر ان كل نظرة ومعالجة لمشاكل العرب الحيوية في اجزائها ومجموعها لا تصدر عن هذه المسلمة ((وحدة الامة العربية)) هي نظرة خاطئة ومعالجة ضارة.وقد اكد دوما ان فكرة الوحدة العربية يجب ان ترافق نضال الشعب العربي في سبيل الحرية والاشتراكية وتوجهه.

ان اصرار الحزب على اولوية الوحدة قد جاء ـ من الناحية الموضوعية ـ معبرا على نحو عميق عن مصالح الجماهير بصورة خاصة وعن مصالح الشعب العربي عامة، لان سير التطور والاحداث قد برهن على ان آمال الوحدة قد جاءت ضمن افق تاريخي صحيح، معبرة عن حاجة الجماهير الى التحرر.

ب ـ لقد كان الحزب اول من اعطى الوحدة العربية مضمونها الثوري الصحيح، اذ اعتبرها عاملا هاما في تعميق كل تغيير حقيقي في المجتمع العربي، لان الحرية التي يسعى اليها كل قطر عربي على حدة لا يمكن ان تبلغ من العمق والشمول والمعنى الايجابي ما تبلغه الحرية التي تحققها الامة العربية في وحدتها، كما ان الاساس المادي للاشتراكية يأخذ كل مداه التطبيقي عندما يكون مجاله الوطن العربي كوحدة اقتصادية وبشرية.

ج ـ لقد كان الحزب اول حركة في الوطن العربي ربطت بين النضال القومي والنضال الاشتراكي واكد تلازمها، وهذا ما حول نضال الحركة القومية العربية من مجرد شعار بورجوازي تقليدي الى نضال جماهيري شعبي، وكانت النتيجة العملية لهذا الربط ان تحولت الدعوة للوحدة العربية الى تيار جماهيري كاسح ولم تعد الوحدة ـ بفضل ذلك ـ مجرد حلم فقط، بل اصبحت واقعا حيا حقيقيا تحققه الجماهير في نضالها اليومي.وهكذا سار النضال القومي والنضال الاشتراكي متلازمين كل واحد منهما يمنح الاخر طاقاته وزخمه، وكل منهما يفتح امام الاخر آفاقه الواسعة وابعاده العميقة.

لقد انزل الحزب دعوة القومية العربية من سماء الارستقراطية الى ارض الجماهير الشعبية فتحولت الى قوة دافعة جعلت الشعب العربي يعيش يوميا قضية الوحدة، واصبحت محركا اساسيا لنضال الملايين العربية.

د ـ لم يكتف الحزب بطرح هذه الموضوعات كنظرية فحسب وإنما اصبحت المضمون العملي لسياسته ومهماز نضاله، فجرى تنظيم الحزب على مستوى الوطن العربي، كتجسيد لفكرته التي تعتبر البلاد العربية وحدة لا تتجزأ، واعتبر الحل الجدي لمشاكل الوطن العربي هو العمل العربي المنظم الواحد.وهكذا كان الحزب ـ منذ البداية ـ هو الحركة التاريخية التي انطلقت من مفهوم اصيل للعروبة فيه رفض مطلق للاقليمية، وكان نضاله اليومي رفضا صارما جذريا لها من الناحيتين النظرية والعملية في آن واحد.

ـ ٢ ـ

تلك هي الجوانب الايجابية لمنطلقات الحزب فيما يتعلق بموضوع الوحدة، الا ان لمنطلقات الحزب جوانبها السلبية ايضا:

أ ـ حقا لقد وضع الحزب مسألة تحقيق الوحدة على نحو صحيح بصورة عامة، عندما اعتبر وحدة النضال الطريق الى الوحدة.

ان وحدة النضال تصفي الشعور بالعزلة والتجزئة، الا انها ليست الاداة الموضوعية لاقامة الوحدة ولا الوسيلة الكافية لضمان سلامتها واستمرارها.

لقد اكد الحزب دوما ان الوحدة العربية ليست مجرد تجميع ولصق لاجزاء الوطن العربي، بل هي التحام فصهر لهذه الاجزاء، لذا فان الوحدة ثورة بكل ابعادها ومعانيها ومستوياتها، وهي

ثورة لانها قضاء على مصالح اقليمية عاشت وتوسعت وترسبت عبر القرون، وهي ثورة لانها تجابه مصالح وطبقات تعارض الوحدة وتقف في وجهها.ولان الوحدة ثورة يجب ان يكون لها ادواتها الموضوعية، وهذه الادوات الموضوعية هي الحركات الثورية الشعبية الطلائعية.الا ان الحزب لم يتصد لصياغة دليل نظري يستشرف الطريق الى الوحدة ويرسم اسلوب تحقيقها وضمانات حمايتها وتطورها.وقد كان لهذا اثره الكبير في ضعف الاسس النظرية والعملية لوحدة عام ١٩٥٨ وبالتالي في ضعف حمايتها من الانهيار والسقوط.كما ان آثار هذا النقص تفسر الى حد كبير الهزة التي تعرض لها الحزب في كافة الاقطار وبنوع خاص في القطر السوري، والانحراف او الردة التي دفعت البعض الى التشكيك بمبدأ الوحدة ذاته.

ب ـ ان نشوء الحزب في ظروف تاريخية مضطربة ترك اثره في تكييف شعارات الحزب المرحلية وأسلوب عمله السياسي.ان تحويل الوحدة من حلم يخدر تمرد الجماهير الى هدف قومي يحرك نضالها اليومي، فرض على الحزب في مراحل نضاله الاولى، التي يمكن ان تسمى مرحلة التوعية القومية، تركيزا مستمرا على الوحدة، واكد اهميتها الاساسية لتدعيم أي مطلب جماهيري اخر.وقد جر هذا التركيز الحزب الى مواقف تعتبر سلاحا مفيدا اذا نظر اليه من زاويته الظرفية، الا ان هذا التركيز سيتحول الى انحراف وخطر على قضية الوحدة ذاتها اذا ما اعطي طابعا مطلقا، وبالفعل فقد استمرت هذه الظروف السلبية والاوضاع المشوهة المتأخرة زمنا طويلا جعلت المواقف المرحلية الظرفية جزءا من التراث الحزبي طبع منطق القواعد الحزبية والقيادات نفسها، وحول الانفعال الى منطق.

ان عدم وضع نظرية كاملة للحزب عند بداية نضاله والاعتماد على التجربة كحقل لتكامل نظرته وتعميقها انقذ الحزب من الجمود العقائدي والتحجر الفكري، ولكنه ترك الحزب ـ في نفس الوقت ـ مفتوحا للانفعال الذي لا تحدد مداه وتضبطه النظرية.ان تلاحق المعارك جعل كثيرا من تصرفات الحزب مجرد ردة فعل للاحداث التي يواجهها النضال الشعبي.وان منطلق الحزب القومي السليم وايمانه بتلازم الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي كفل سلامة ردود فعله من أي انحراف، ولكن الاكتفاء بهذه النظرية لا يعطي أي فائدة عندما تتحول المعركة من معركة مجابهة اعداء القضية القومية والاشتراكية الى ترجمة المنطلقات الى واقع في مرحلة البناء.

ج ـ لقد جابه النضال القومي للشعب العربي منذ البداية تحديين متناقضين في المنطلق وملتقيين في العداء، التحدي الاستعماري الرجعي الذي سعى الى تكريس التجزئة عن طريق اثارة التناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وترسيخها وعن طريق ضرب الحركات الثورية التي تشكل الادوات الموضوعية الوحيدة لتحقيق الوحدة، والتحدي الشيوعي المحلي الذي يقف بوجه الاستعمار ولكن يلتقي معه في محاربته للوحدة وللشعور القومي، وان كانت اساليبه العدائية مختلفة عن اساليب الاستعمار وعملائه الرجعيين.فالعداء الشرس تجاه القومي الذي اظهرته الحركة الشيوعية المحلية في كافة مواقفها العملية والنظرية معا، دفعت الحزب الى اعطاء الاتجاه القومي نوعا من القداسة بسبب خطورة هذا التحدي ولاسيما انه جاء في ظروف شوهت فيها الرجعية الاتجاه القومي وجعلته ستارا لاغراضها.ولقد نجح الحزب في جعل الاتجاه القومي القوة السياسية الاساسية في المعركة العربية الحاضرة والقاسم المشترك بين جميع الاحزاب والهيئات التي تعمل في الحقل العربي، وان كانت الواجهة القومية بالنسبة لعدد منها مجرد ستار خادع، الا اذا النجاح الذي حققه الحزب حمل معه بعض الآثار السلبية تركتها ضراوة المعركة ونوعية الاعداء لان الحزب قد اعطى في بعض كتاباته مفهوما مثاليا للقومية العربية فتح المجال لتفسير مناف احيانا للعلم ولتطور التاريخ فتحولت القومية العربية في نظر بعض اعضاء الحزب الى مفهوم متحجر وجامد.

ولهذا اعتبرت القضية الاشتراكية في بعض كتابات تلك المرحلة التي اتسمت بطابع العداء ازاء انحرافات الحركة الشيوعية المحلية وبطابع الانفعال فرعا من القضية القومية مما طمس في اذهان البعض حقيقة الصراع الطبقي كمحتوى حقيقي ومنطلق نضالي اساسي للقومية العربية.

ان اعطاء الكتابات الظرفية التي جابه بها الحزب عداء الشيوعية المحلية للاتجاه القومي صفة الموقف الثابت والمنطلق النظري قد يؤدي الى دفعه الى اتخاذ موقف الحكم والوسيط بين الطبقات.واذا كان مثل هذا الموقف معقولا في المراحل الاولية للنضال القومي وله مبرراته الظرفية الا انه فقد كل مبرراته في مرحلة البناء الاشتراكي التي وصل اليها الحزب ويهدد بالتالي في حال استمراره وترسخه بتجميد الحزب في مواقف وسطية ويشل اندفاعه الاشتراكي.

ليست الوحدة العربية نظرية بحاجة الى اثبات بل هي واقع يحرك اعماق الجماهير العربية من الخليج الى المحيط.والمهم الان هو تحديد المضمون الاجتماعي للحركة القومية العربية، ثم للوحدة العربية باعتبارها (الاطار) العملي للقومية العربية.

لقد اكد التطور الواقعي للنضال العربي الطابع الاشتراكي والشعبي والثوري لمعركة الوحـــدة العربية:

أ ـ لقد اصطدم النضال القومي العربي باعتباره خالق التجزئـــة والحريـص علـى بقائـها وتكريسها، باعتبارها وسيلة استمرار نفوذه واحتكاراته في الوطن العربي.

ب ـ واصطدم النضال القومي بالاقطاع كأسلوب انتاج فات اوانه وكطبقة سياسية في آن واحـد باعتبار ان الطبقة الاقطاعية هي الطبقة العميلة بصورة مباشرة وصريحة للاستعمار.

ج ـ واصطدم النضال القومي العربي بالبورجوازية الوطنية، نظرا لان بورجوازية كل القطر قد نمت بشكل مستقل ومعزول عن بورجوازيـات الاقطـار الاخـرى، فحولـت كـل مـن البورجوازيات القطرية التناقضات بينها الى تناقضات اقليمية بين قطر وآخر، لذا وجـد النضال القومي العربي نفسه مجبرا على ازالة العراقيل البورجوازية كســبيل لتخطـي الحدود اقليمية، وصنع وحدته القومية.

ولهذه الاسباب كلها فان حركة القومية العربية هـــي قضيـة جمـاهير العمـال والفلاحيـن والبورجوازية الصغيرة والمثقفين الثوريين، وبالتالي فقد اصبحت طريق القومية العربية هو طريق العرب نحو الاشتراكية.

لذا فان الوحدة العربية تأتي اليوم ضمن افق تاريخي صحيح، وهي تعبر عن حاجة الجمـاهير الى التحرر وعن رغبتها في تحريك كامل قواها لتحطيم العراقيل التي تقف بطريق تقدمها.

ولان سير التطور الواقعي للحركة القومية قد سار في هذه المسارب التاريخية الجديدة لذا فان دفع حركة الوحدة الى امام يوجب اللجوء الى عوامل موضوعية لبناء اسس هذه الوحدة ورســم اطارها.فالعوامل الذاتية والعاطفية لم تعد قادرة على بناء وحدة تجابه الاستعمار بمجموعه، كمـا تجابه في الوقت نفسه اعداء طبقيين داخليين تفقدهم الوحدة مواقعهم الممتازة ونفوذهم وتسلطهم.

ان الوحدة بين اقطار خلفت التجزئة فيها الرواسب الاقليمية المتخلفة والمصالح الضيقة عمـل ضخم جبار يتحدد بالضرورة في التزام ايديولوجي وذلك على الصعيـد الاجتمـاعي والاقتصـادي

والسياسي على السواء.وهذه الايديولوجية لا بد ان تكون معبرة بأمانة عن مصالح الجماهير من جهة ومعتمدة عليها كتنظيم من جهة اخرى.فلكي نضمن للوحدة الشروط الموضوعية لانطلاقة صحيحة لا بد ان تنبثق عن جماهير واعية مكونة تكوينا سياسيا، مسؤولة ومنظمة تنظيما محكما.وبما ان روح الديمقراطية هي الايمان بالجماهير لذا فان الكفاح الوحدوي هو كفاح ديمقراطي اشتراكي بالضرورة.

ان الوحدة العربية الشاملة هدف جماهيري ثوري يجب تحقيقه تحقيقا واعيا سليما.ولا بد اذن من ان تتجسد الوحدة بصورة ديمقراطية واتجاه اشتراكي علمي ومشاركة ايجابيسة فعالة من الجماهير المنظمة.

لم تعد الوحدة العربية في هذه الظروف الجديدة مجرد تجسيد عملي لوحدة الشعب القومية، بل اصبحت محركا للنضال العربي ايضا، سواء على الصعيدين السياسي او الاجتماعي:

١-ان دولة العرب المنشودة لن تكون ضربا من الدول القومية التقليدية التي قامت على اساس قومي مجرد، فالمصالح البورجوازية القطرية بالاضافة الى الاقطاعية والديمقراطية الطبقات الاحتكارية اصبحت عدوة للوحدة.فالنضال الجماهيري الوحدوي الذي اصبح مضطرا لازالة هذه العراقيل الاقليمية يصنع اشتراكيته في نفس الوقت الذي يصنع فيه وحدته.

٢-لم تعد الوحدة العربية مجرد تحقيق لماض سلف، بل هي ضرورة مباشرة في معركة الوجود العربي ضد الاستعمار بشكليه القديم والجديد.فالطريق الى استعادة الاجزاء السلبية من الوطن العربي، وتدمير الاحتكارات الاستعمارية وسد المنافذ امام تسلل الاستعمار الجديد لا يمكن ان تتم بصورة نهائية واكيدة الا عبر النضال الوحدوي.

ان التجزئة والتخلف هما المناخ الطبيعي للذي يعيش فيه الاستعمار الجديد.ففي غمرة التناقض والتنافس اللذين لا بد ان يوجدا بين الكيانات الصغيرة المصطنعة يجد الاستعمار الجديد مجالا لتسلله، وبالاضافة الى ذلك فان سياسة الدول الصغرى تبقى دوما والى حد كبير ـ مهما تحررت ـ مجرد رفض سلبي للسياسة الاستعمارية كما ان تعاونها مع الدول الاشتراكية يعرقله نوع من الخشية غير المنظورة من الاستعمار ومن العقدة ازاء المعسكر الاشتراكي ذاته.لذا فان دولة الوحدة، وهي دولة كبيرة بالضرورة، هي التي يمكنها ان تنقل السياسة العربية من مجرد الرفض السلبي الدفاعي، الى ممارسة ثورية ومبدئية على النطاق الدولي دون انتظار لالتقاط

صدى هذه السياسة في المعسكرات الدولية.ان الثقل الكمي والنوعي لدولة الوحدة الضخمة يعطيها من القوة والمنعة ما يمكنها من توجيه الضربات الثورية العادلة والمشروعة لبقايا مواقع الاستعمار القديم واحتكاراته وعميلته اسرائيل، وهو الذي سيسد الطريق بشكل حاسم ونهائي امام تسلل الاستعمار الجديد.

٣-ان الوحدة ستتيح الفرص الجدية لانطلاق الاقتصاد العربي انطلاقا سريعا، فالحدود الاقليمية كانت عاملا اساسيا في لجم انطلاق اقتصادي عصري، باعتبار ان التسويق هو الوجه الاخر للتصنيع وضيق الاسواق القطرية عامل هام يعرقل التطور الاقتصادي العربي ويمنعه من ان ياخذ كل مداه في انطلاقته وتكاد ان تتحول هذه الحدود الى سبب لاختناق اقتصادي في الاقطار العربية الصغيرة.فالجانب الاقتصادي للوحدة العربية يهيئ الظروف الموضوعية لقيام اقتصاد الابعاد الكبيرة، ولانشاء صناعات متطورة وضخمة وعصرية تستطيع ان تقف بجدارة واقتدار في وجه المزاحمة الاجنبية، بعيدة عن اسوار الحماية الجمركية لصناعات متخلفة وصغيرة وغير اقتصادية.وبالاضافة الى كل هذا فان التكامل الاقتصادي المتوفر في وطننا العربي سيكون مهمازا لتطوير سريع للاقتصاد العربي بمجموعه.فالثروات الطبيعية الكبيرة والمتنوعة المتوفرة في الوطن العربي، هي التي تهيئ الظروف الموضوعية للافلات من التبعية للدول المستعمرة، لان المسألة الحاسمة في التطوير الاقتصادي ليست مسألة توظيفات فحسب بل هي مسألة تسويق وتبادل ايضا، كما ان الوحدة العربية ستزيل المزاحمة والتسابق في البحث عن وسائل التمويل الاجنبية، وستلغي النفقات المزدوجة غير المعقولة لمشاريع التصنيع المتشابهة، وستزيل اخيرا عدم التساوي في توزيع الموارد الوطنية ووسائل العمل بين اقطار الوطن العربي.

لكل هذه الاسباب فان الوحدة ليست خلاصا قوميا فحسب، بل هي بالنتيجة خلاص اقتصادي واجتماعي وقضاء على التخلف وسير سريع للحاق بركب التاريخ.

٤-ان الاشتراكية هي المضمون الواقعي للوحدة العربية، وان بناء الاشتراكية يجعل الوحدة الاطار البشري والاقتصادي الاكثر انسجاما مع متطلبات شمول التجربة وجذريتها.فالبلدان الصغيرة لا تستطيع ان تصعد في طريق الاشتراكية بشكل منعزل لان التطوير الاقتصادي (والتصنيع بوجه خاص باعتبارة القاعدة المادية للاشتراكية) سيبقى دوما مهددا بالجمود

والاختناق، لذا فان الوحدة العربية والاشتراكية قضيتان متلازمتان على الصعيد التاريخي والاقتصادي.

٥-ان التطور الموضوعي لعالمنا الراهن يحث الخطى نحو كتل كبرى من الشعوب، وقد تألفت دول عديدة على اساس قوميات متعددة، كما اخذت تتبلور تكتلات سياسية واقتصادية تمهد لارتباطات اعمق وامتن واوثق، كالوحدة الاوروبية والسوق الاوروبية المشتركة والمعسكر الاشتراكي وكتلة الدول الافريقية.وان السعي لاحكام سيطرة الاستعمار الجديد على البلدان المتخلفة في ظروف تداعي وانهيار الاستعمار القديم ونشوء تكتلات سياسية واقتصادية دولية كبرى تجعل الوحدة العربية سلاحا للدفاع عن مصالح الشعب العربي.

فالوحدة العربية بالاضافة الى كونها تجسيدا للقومية العربية، تتفق وسير التطور الموضوعي لعالمنا المعاصر، وهي ضرورة اساسية لمجابهة الاخطار الجديدة، وهي الاساس الطبيعي لتطوير العلم والتكتيك العربي واللحاق بالتطور العالمي العاصف في هذا المضمار.

ان الوحدة العربية اساس لا بد منه لاقامة مجتمع اشتراكي يواجه تحدي العصر الجديد عصر الثورة الصناعية الجديدة، واخطار الاستعمار الجديد.

٦-ان العرب امة واحدة، لذا فان الوحدة العربية يجب ان تكون وحدة كاملة في المراحل المتقدمة للنضال الوحدوي.فالشكل الكلاسيكي للاتحادات، قد يكون الشكل الذي يتناسب مع دولة ذات امم متعددة وقد يكون مجرد مرحلة وخطوة نحو الوحدة الكاملة لان الاتحاد الفدرالي اذا اصبح خاتمة للتطور الوحدوي يصبح ضربا من الصيغ التي تحافظ على رواسب الاقليمية المتفقة مع مصالح البورجوازية والمنطق البورجوازي.ولكي تكون الوحدة حقيقة وكاملة يجب ان يكون لها قيادة قوية وفعالة، في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

الا ان المضمون الشعبي للوحدة يوجب تطبيق اللامركزية (او الحكم الذاتي) في الحكم باعتباره التطبيق العملي للديمقراطية الاشتراكية.ان اللامركزية في الشؤون القطرية والمحلية ضرورة ديمقراطية.الا ان اللامركزية في الشؤون المحلية القطرية لن تعتمد بالضرورة الخريطة الحالية للوطن العربي، ولن تكون منطلقا لها واساسا لتطبيقها، فالكيانات الحالية ليست كيانات ازلية او طبيعية، بل هي كيانات زائفة ومصطنعة وحديثة في آن واحد.فالاطار الجديد للامركزية

في الحكم سيتحدد وفق شروط الانتاج وحاجات البناء الاقتصادي والاجتماعي، لكي يأتي منسجما مع المصلحة الجدية الحقيقية الملموسة لجماهير الشعب العربي.

٧-ان الانطلاق الواعي من الظروف الموضوعية يقتضي تثبيت الحقائق الملموسة في الواقع العربي لا القفز من فوقها وتجاهلها.لقد خلقت التجزئة الطويلة ظروفا اقليمية متنوعة وتفاوتا في التطور الاقتصادي انعكس على الجوانب الاخرى من الحياة، في الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي.فالبناء الوحدوي في البدء ينبغي ان يستوعب هذه الظروف، لكي يستطيع التغلب عليها وتصفيتها بصورة تدريجية وموزونة واكيدة عن طريق التفاعل بين الاقطار باعتباره الطريق العملي الوحيد للصهر.

٨-ان الوحدة في مفهومها الديمقراطي والثوري يجب ان تأتي تتويجا للنضال الثوري العربي وحصيلة للتفاعل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بين مختلف التجارب الثورية العربية.فاحلال الامتداد محل التفاعل وتذويب تجارب ثورية اصيلة يؤدي عمليا الى تعميق التناقضات الاقليمية وابرازها بشكل عدائي ويوفر ظروف ردة انفصالية كما حدث في ٢٨ ايلول ١٩٦١ في سورية – هي اخطر من التجزئة نفسها، لان التجزئة واقع مريض موروث في حين ان الانفصال خطوة الى الوراء، وللحركة السلبية وللردات الاقليمية اثر كبير اكثر خطورة من اثر الجمود الفاسد.

٩-ان تعميق الطابع الاشتراكي الديمقراطي لاسس الوحدة ضمان اساسي لرسوخ بنيانها، فالجماهير الشعبية هي وحدها المبراة من رواسب الاقليمية وظروفها والمصالح التي تولدها.فالعمال والفلاحون لن يفقدوا شيئا بزوال الحدود، في حين ان البورجوازية والبيروقراطية تفقد مواقعها الحقيقية عند زوال الحدود.ان التعصب الاقليمي هو ضرب من الدفاع عن المصالح الاقليمية التي تزيلها الوحدة، فالوحدة العربية في تطورها الملموس هي ثورة قومية واشتراكية ديمقراطية في آن واحد.

١٠- ان القوى الثورية الجماهيرية المنظمة هي الادوات الموضوعية التي تصنع الوحدة وتحميها وترسخها لذا فان افضل اشكال الوحدة وارسخها هي التي تأتي حصيلة لنضال ثوري جماهيري تقوده قوى ثورية منسجمة موحدة، لان الوحدة العضوية بين القوى الطليعية تجعلها اكثر جدارة واقتدارا في اتخاذ موقف موحد منسجم حيال رواسب التجزئة وحيال مختلف القضايا الاخرى.الا ان الظروف الموضوعية في الوطن العربي قد خلقت

حركات تقدمية او ثورية متعددة، هذه الحركات وان كان خطها الاساسي متشـــابها الا ان سيماها وتركيبها الاجتماعي واختلاف مستويات الايديولوجية ورواسب التجزئة والاقليمية فيها تخلق بعض الاختلاف في نظرتها لقضايا النضال القومي الاشتراكي، ولكن طابع هـذا الاختلاف ليس عدائيا بل هو مسألة تعيين الحدود بين الخطأ والصواب.

ان اللقاء والتفاعل بين القوى القومية التقدمية يبغيان بالنتيجة صهر هذه القوى على الاسس التي يثبت العلم والتجربة النضالية صوابها، اذ ان تحقيق الوحدة رهن بتوحيد المنطلقات النظريـــة التي ستبنى عليها وبوحدة الاسلوب النضالي المؤدي الى تحقيقها، الا ان التوحيد على اساس فض اطار مسبق يصدر عن قطر يؤدي عمليا الى نسف كل امكانيـــة صـــهر جديـــة للقـــوى الثوريـــة الجماهيرية.وبما ان الوحدة ستأتي حصيلة لقاء هذه القوى، لذا ينبغي ان يتم هـــذا اللقـــاء علـــى اساس ديمقراطي.على اساس التفاعل لا الفرض، على اساس ازالة الاختلافات الجزئية والثانويـــة عن طريق تبادل النقد والنقد الذاتي والرقابة المتبادلة وتبادل الخبرة والتجربة.ان كل محاولة لبناء هذه العلاقات على اساس الفرض والالحاق، سوف لا يقتصر اثرها على تحويل تلك الخلافات الـــى مواقف عدائية بين هذه الحركات، بل الى عرقلة قضية الوحدة وتفتيت الصف العربـــي المتحـــرر المعادي للاستعمار.

١١-ان الوحدة العربية سوف تتم على مراحل، وهذه المرحلية في تحقيق الوحـــــدة لا تشـــكل خطرا على الوحدة الشاملة ما دامت ناجمة عن بعض الظروف الموضوعية للنضال العربي وليست تعبيرا عن نظريات شبه انفصالية وشبه اقليمية.ان الوحدة الجزئية تصبح خطـــرا على القضية القومية عندما تكون بديلا عن الوحدة القومية الشاملة، في حين انها تصبـــح خطوة وحدوية سليمة عندما تكون مجرد خطوة في طريق الوحدة الشاملة تكفـــل صـــهر الطاقات الثورية بين قطرين او اكثر وتمهد لايجاد ظروف جديدة تســـاعد علـــى تحقيـــق خطوات وحدوية اخرى.

***

((الحرية))

ممارسة الديمقراطية الشعبية

ـ ١ ـ

نشأ حزب البعث العربي الاشتراكي في ظروف عربية ودولية يسودها قسر شديد للحرية وتزييف بالغ لها:

فالاستعمار التقليدي المباشر كان لا يزال يحتل معظم اقطار وطننا العربي، ويسحق حرية الشعب، لكي يضمن حماية مواقعه وتأمين مصالحه واستمرار نفوذه.

وفي البلدان العربية التي حققت استقلالا تقليديا، ورثت الرجعية بعضا من مراكز الاستعمار وحرمت الجماهير ثمرة نضالها، واتخذت من السلطة وسيلة لاستغلال الجماهير الشعبية وتحالفت مع الاستعمار لكي يضمن كل للاخر استمرار نفوذه وحماية مصالحه، واضطرت الرجعية الى ممارسة الارهاب العلني المباشر في الظروف التي يتعاظم فيها نضال الجماهير، كما عمدت في ظروف اخرى الى تزييف شعارات الحرية والديمقراطية وافرغتها من محتواها الحقيقي، واصبحت ديمقراطية الرجعية مجرد واجهة تخفي طغيان وتزييف واستثمار الطبقات الرجعية.

وفي نفس الوقت كانت التجارب الاشتراكية تشهد تفاقما ملموسا وقويا في مخاطر البيروقراطية، كما امتهنت المشروعية الاشتراكية وتحولت الديمقراطية الاشتراكية في اكثر دول المعسكر الاشتراكي الى مجرد مومياء تخفي طغيانا اوتوقراطيا داميا.

وفي مواجهة مبدئية وثورية لهذه الظروف، رفع حزب البعث العربي الاشتراكي شعار الحرية فجاء جوابا صادقا وأمينا لموقف حزب يؤمن بالاشتراكية كوسيلة لتحرير كلي وجذري للانسان العربي.

فالحرية بالنسبة لحزب البعث العربي الاشتراكي، كانت تعني ـ اولا ـ التحرر الكامل السياسي والاقتصادي من شتى اشكال السيطرة الاستعمارية.ولهذا السبب كان البعث العربي الاشتراكي اول حركة ثورية عربية وضعت مسألة الكفاح ضد الاستعمار على صعيد ثوري ومبدئي، ولهذا السبب ايضا انطلق الحزب في نضال دائم لا هوادة فيه ضد شتى اشكال السيطرة الاستعمارية.وفي الاقطار العربية التي تعمقت فيها جذور الحزب ونمت قواه الجماهيرية، كان نضال الحزب عاملا اساسيا في تهديد وزعزعة جميع اشكال السيطرة الاستعمارية، سواء اكانت

سياسية او اقتصادية، مباشرة او غير مباشرة.وفي نفس الوقت فان منطلقات الحزب الاشــتراكية جعلته اول حركة ثورية قومية ذهبت تتلمس جذور النفوذ الاستعماري في طبيعة الطبقات الرجعيــة وانطلق يحاربها بقوة وحزم.

ان منطلقات الحزب الاشتراكية والتزامه مصلحة الجماهير الشعبية قد مكنته من ممارسة دور فعال في فضح تزييف الطبقات الرجعية للحرية، وعرى التطبيق المشـــوه الكـــاذب للديموقراطيـــة البورجوازية.اذا كانت الظروف الموضوعية في الوطن العربي قد حالت دون تركيز اساس ثـــابت وصحيح لممارسة جدية ودائمة للديموقراطية في اطارها البورجوازي، الا ان الحزب قـــد ســـاهم ايضا ــ بسبب طابع نضاله الاشتراكي ــ في فضح المفهوم البورجوازي ــ الاقطاعي للحرية، وان كان لم يتصد لصياغة اساس نظري جديد لمفهوم محدد ملموس للحرية والديموقراطية في اطارهـا الاشتراكي.

ان الطابع الانساني لاشتراكية الحزب كان على الدوام بارزا ومـــاثلا للعيـــان، لان عبوديـــة الانسان في انظمة الاستغلال هي اخطر شكل من اشكال ضياع الحريـــة الانســـانية، وتبعـــا لـــهذه الموضوعة فان قلب انظمة الاستغلال وتصفيتها وتبديل علاقات الانتاج الرأسمالية هي وحدها التي تتيح خلق الظروف الموضوعية الملائمة لتحرر الانسان وخلاصه من الضياع والاستغلال.وعلـــى هذا الاساس كان الحزب يستنكر دوما مظاهر خرق المشروعية الاشتراكية والتضييق على حريـــة الجماهير الشعبية والتسلط البيروقرطي عليها، هذه المظاهر التي عانتها بعض التجارب الاشتراكية الثورية في العالم.وعلى هذا الاساس فان حزب البعث العربي الاشتراكي كان يؤكد دوما ضـــرورة تلازم الحرية والعدل الاجتماعي، لان مثل هذا التلازم هو وحده الـــذي يعمـــق المعنـــى الانســـاني للاشتراكية ويجعلها القاعدة المادية المتينة لنمو حرية الانسان.

لقد وضع حزب البعث العربي الاشتراكي، مسألة النضال ضد الاستعمار ضمن اطارها الدولـــي والانساني.واعتبر المعسكر الاشتراكي قوة ايجابية فعالة في النضال ضد الاستعمار، ولم تســـتطع تبعية الشيوعيين المحليين السياسية والنظرية وانغلاقهم المذهبي وتجمدهـــم الفكـــري وعداؤهـــم للاتجاه القومي العربي والوحدة العربية، والاخطاء المبدئية والتكتيكية التي وقع ويقع فيها الاتحـــاد السوفياتي كثيرا من الاحيان، لم تستطع ان تحجب عن حزب البعث العربـــي الاشـــتراكي التقـــاءه العميق مع المنطلقات الاساسية المبدئية لسياسة المعسكر الاشتراكي، وان تحول استقلال الحـــزب ازاء هذا المعسكر وانتقاده لاخطائه الى عداء.لقد كان الحزب اول من طرح شعار الحياد الايجـــابي

كخط عام للسياسة الخارجية العربية واكد دوما مبدأ ((عـدم الالـتزام)) بـأي مـن المعسـكرات الدولية. الا ان هذه الصيغة كانت تعني – من حيث الاساس – النضال الحازم والمبدئي والثـوري ضد الاستعمار. ولهذا لم يضع الحزب المعسكرين في كفة واحدة لان الافق النضالي لشعب مستعمر او شبه مستعمر، ولوطن فتته واستغله الاستعمار يجعل المنطلقـات الاساسية والمبدئيـة التـي يمارسها المعسكر الاشتراكي اكثر انسجاما مع مصالح وطننا العربي وأشد تعاطفـا مـع شـعبنا العربي.

ان سياسة عدم الالتزام، التي خطها الحزب، وان كانت تعني في مضمونها المباشـر تجنـب الانسياق وراء التبعية والابتعاد عن الانغمار في معارك المعسكرين اليومية والمباشرة والخاصـة، الا انها كانت تعني في نفس الوقت، التزام سياسة مبدئية وثورية على الصعيد الدولي تقوم علـى دعم حركات التحرر القومي لجميع الشعوب المناضلة ضد الاستعمار.

– ٢ –

لقد كانت منطلقات الحزب الاساسية في فهم قضية الحرية السياسية صحيحة فـي خطوطـها العامة، الا ان الحزب لم يتصد لمحاولة توضيح مفهومـها الاجتمـاعي والطبقـي بشـكل كـامل وملموس. لقد اتخذ الحزب موقف الرفض من شتى انواع التشويه والقسـر التـي لحقـت حريـة الانسان العربي بوجه خاص وحرية الانسان بوجه عام.

لقد ادان الحزب ديكتاتورية الفرد، كما ادان ديكتاتورية البيروقراطية، الا انه لم يحدد بوضوح نظرته المبدئية الى الديمقراطية البرلمانية البورجوازية، كما ان الحزب لم يضع الاطـار النظـري لقضية الحرية في واقعها الملموس، وذلك بربطها بالمرحلة الثورية التي يعيشها شـعبنا العربـي وبالطبقات الثورية في المجتمع العربي. وهو اخيرا لم يستشرف صيغة نموذجية لاسـاس للحكـم، ثوري وجذري وديمقراطي شعبي في آن واحد.

ولان الحزب قد اكتفى بوضع الاسس والخطوط العامة في نظرته لمشكلة الحرية السياسية فقد وقع في بعض الغموض في نضاله اليومي في بعض الظروف، لانه لم يعط حكما محـددا حـول المفاهيم الليبرالية البورجوازية للحرية السياسية.

لقد عمل الحزب، منطلقا من عفوية نضالية، على صعيد القطاع العسـكري وعلـى الصعيـد البرلماني.

(أ) فعلى صعيد القطاع العسكري، عمل الحزب على تحريك هذا القطاع في عدد من الاقطار، ودأب على تحويله من قطاع مسلكي تحركه السلطة الرجعية الى قطاع ثوري يلتحم مع الجماهير العربية في نضالها ضد الاستعمار والتجزئة والاستغلال.

وفي المراحل الاولى من نضال الحزب في هذا القطاع، استطاع تعبئته للنضال ضد الاستعمار، الا انه عجز في البداية عن تحويله كاملا الى اداة ثورية بيد الجماهير، لانه لم يستطع في المراحل الاولى من نضاله ان يجعل العناصر الثورية فيه جزءا عضويا من بنيان الحزب.ولهذا السبب بقيت نتائج نضال الحزب في هذا الميدان جزئية.ولكن كان لهذا النضال نتائجه الايجابية اذا اخذت من وجهة التطور التاريخي للنضال الشعبي.فقد ساهم في انهاك الطبقات الرجعية، وفضح زيف الانظمة الديمقراطية الرجعية، كما انه لعب دورا حاسما في رد الهجمات الاستعمارية على استقلال بعض الاقطار العربية.

وقد كان ممكنا اتباع خطة ثورية كاملة في هذا القطاع، لو ان الحزب قد اتبع منذ المراحل الاولى، التكتيك الثوري الواعي الذي فجر ثورة الثامن من شباط المجيدة في القطر العراقي واعتبر قضية الثورة من حيث الاساس وباستمرار قضية تنظيم الجماهير، واعتبر ان دور هذا القطاع يجب ان يكون مجرد جبهة من جبهات العمل الثوري، ومجرد نضال متمم للنضال الاساسي، هذا النضال الذي ينبغي ان تبقى الجماهير الشعبية قاعدته واساسه.ان مثل هذه الخطة الثورية الناضجة هي وحدها التي ترسخ الجذور الثورية وتعمق المضمون الاشتراكي لاي حدث تبرز فيه العناصر الثورية العسكرية كعنصر رئيسي في المعركة المباشرة.

كل هذا يفسر فشل تحويل القطاع العسكري الى اداة ثورية قبل ثورة الثامن من شباط، كما يفسر انتكاس المحاولات الانقلابية العسكرية وانتقال بعض العسكريين الى صف الانتهازية والرجعية.ففي ظروف التأخر السياسي والاجتماعي الراهنة في وطننا تصبح احتمالات الانحلال البيروقراطي وتشكيل طبقة جديدة فوق الجماهير الشعبية ممكنة اذا لم يوصل القطاع العسكري بصورة عضوية بالحزب، واذا لم يشمل تنظيم هذا القطاع جماهير الجنود وصف الضباط والضباط، واذا لم يتم تعبئة جماهير العمال والفلاحين تعبئة جدية واعية.

لقد برهن الحزب عن اصالة ثورية عندما اتجه للعمل النضالي في القطاع العسكري، لان الازمة الشاملة العميقة التي يعانيها شعبنا لا بد ان تلمس هذا القطاع من جهة، ولان العمل الثوري يقتضي تحريك كل القوى في سبيل انتصار القضايا القومية والاشتراكية، الا ان هذه

الثورية كانت عفوية الى حد بعيد، وكانت بحاجة لوعي كامل لطبيعة هذا القطاع وظروفه من جهة، والى تحديد موضوعي للقوى الاساسية للثورة من جهة اخرى.

(ب) بالرغم من ان منطلقات الحزب كانت ثورية الاسلوب في نظرتها للتغير الاجتماعي الا انه في الاقطار التي يتوفر فيها مناخ سياسي لقيام واجهة برلمانية (في فترات متقطعة) مارس الحزب ((اللعبة البرلمانية)) بشكل اوحى بانه يقبل بالنظام البرلماني بمفهومه البورجوازي الليبرالي اطارا ثابتا وكافيا للنضال وللعمل السياسي.وبالرغم من ان ثورية الحزب جعلته يشكك في جدوى البرلمانات البورجوازية كطريق للتحويل الاشتراكي الا انه كاد يغرق – في بعض الفترات – في ميدان العمل البرلماني وينسى القضية الاساسية، قضية التنظيم الجماهيري، قافزا فوق الظروف الموضوعية للوطن العربي التي كانت تؤكد ان البرلمانية بمفهومها البورجوازي الليبرالي لا يمكن ان تكون اداة تحويل اجتماعي جذري وإنها مجرد واجهة شكلية تخفي نفوذ الاقطاع والبورجوازية الكبيرة.

ان النضال الجماهيري هو وحده طريق الثورة، والنضال البرلماني لا يمكن ان يكون الا شكلا من اشكال النضال الثوري بغية توثيق الصلات وتعميقها مع الجماهير وفضح سياسة الطبقات الرجعية وتزييفها الكامل للديمقراطية.

ان انزلاق بعض فروع الحزب في بعض الفترات الى تبني البرلمانية، قد دفع بها الى محاولة اكتساب اصوات الناخبين بطريقة تقليدية تهبط الى الحالة الراكدة للجماهير وجوانب الضعف فيها، مستسلمة لمشاكلها الفردية الجزئية واليومية، كما ان هذا الانزلاق قد انعكس على نحو سيء على تركيب الحزب في تلك الفروع وعلى مخططات عمله.

– ٣ –

أ – لا يزال القسم الاعظم من الوطن العربي خاضعا، على درجات متفاوتة، للنفوذ الاستعماري، بشكليه القديم والجديد.

وبالرغم من ان سير التطور التاريخي لنضال الشعوب، ومنها شعبنا العربي، قد احرز انتصارات واسعة ضد الاستعمار الا ان هذا لن يكف عن مؤامراته ومناوراته، لعرقلة تحرر الشعوب وللحفاظ على مواقعه واحتكاراته وسائر اشكال نفوذه الاخرى.

ان تصاعد نضال الشعوب واتساعه يدفع بالاستعمار العالمي، يوما بعد يـــوم، الـــى تصفيـــة المتناقضات الجزئية بين اطرافه، والى تبديل اساليبه وجعلها اكثر مرونة ووعيا.واذا كانت الطبقات الاقطاعية والفئات العليا من البورجوازية الاحتكارية قد لعبت دور الحليف للاستعمار القديم، فـــان البيروقراطية والبورجوازية تلعب دور الحليف للاستعمار الجديد، ويشتركان معـــا فـــي اســـتغلال جماهير الشعب.

ان ظروف التأخير الاقتصادي التي يعانيها وطننا مقترنا بوجود البيروقراطية والبورجوازيـــة كقيادة سياسية ستؤدي الى تدعيم نفوذ الاستعمار الجديد واستمراره، لذا فان سلطة تمثل مصـــالح الجماهير الشعبية هي وحدها القادرة على وقف التسلل الاستعماري الجديد وتصفية مصالحه.

ان استغلال صعوبات البناء الاقتصادي في وطننا والتحالف مع الفئات المســـتغلة والطفيليـــة ودعم سيطرتها على عملية التنمية الاقتصادية وتشجيع المبادرة الفردية والقطاع الخـــاص هـــي الاساليب الجديدة التي تنتهجها الدول الاستعمارية للحفاظ على سيطرتها الحقيقية تحـــت اشـــكال جديدة، ولذا فمن الوهم الاعتقاد بان بناء مجتمع اشتراكي جديد يضع مصلحة الجماهير فـــي رأس مهماته، يمكن ان يتم دون كفاح دائم صارم ضد ظاهرة الاستعمار، وعلى هذا الاساس يبدو مـــن غير المنطقي الركون الى المعونة الاجنبية الا كعامل اضافي وثانوي، في عملية الانماء الاقتصادي لوطننا.ان تجنيد طاقات الشعب العربي المادية والبشرية واتباع الاسلوب العلمـــي فـــي التخطيـــط والتحويل الاشتراكي هي وحدها التي تمكننا من تحقيق تطور منسجم وجدي للاقتصاد العربي.

ان سياسة مبدئية ثورية على الصعيد الخارجي، سياسة نابعة من المفهوم الاشتراكي الـــذي يرفض جميع اشكال الاستغلال، سواء كانت داخل الوطن العربي او خارجه، سياسة قائمـــة علـــى الثقة بقوة الجماهير العربية، هي وحدها التي تمكن الشعب العربي من الالتقاء ــ علـــى الصعيـــد الدولي ــ مع حلفاء ثابتين لقضية النضال العربي ضد الاستعمار.ان تعزيز التضامن مـــع بلـــدان العالم الثالث (ونحن منه)، التي تنتهج سياسة الحياد الايجابي، وتعميق الصلات معها، (على نحـــو متفاوت تبعا لشروط الحكم فيها، ودرجة استقلالها الاقتصادي) سيساهم ــ بالتاكيد ــ في تقويـــة جبهة الكفاح ضد الاستعمار.

كما ان تقوية وتعزيز الصداقة بين الشعب العربي وجميع الدول التي تلتقي مصالحـــها مـــع اماني الشعب العربي في التحرر من نيول الاستعمار، ستخلق امكانيات حقيقية لاقتـــلاع المواقـــع

الاستراتيجية والمصالح الاقتصادية الاحتكارية الاستعمارية في الوطن العربي، كما انها ستؤدي الى تعزيز الكفاح العام الانساني المشترك ضد الاستعمار.

واذا كان تحرير فلسطين رهنا بوحدة القوى التقدمية العربية ونموها بالاساس، فان سياسة مبدئية، مرنة وثورية، هي التي تستطيع ان تدفع القوى التقدمية في العالم الى تأييد قضية فلسطين، بحيث يمكن تصفية هذه القضية بأقل قدر ممكن من ردود الفعل المباشرة من قبل الاستعمار الذي خلق اسرائيل، ويمدها الان بأسباب الحياة والقوة.

ان الحركة القومية العربية، باعتبارها حركة شعب مضطهد، لا يمكن الا ان تعتبر نفسها دوما جزءا لا يتجزأ من حركة نضال جميع الشعوب ضد الاستعمار. ولهذا فان الشعب العربي تحركه دوما ارادة مصممة على المساهمة الايجابية الفعلية في مكافحة الاستعمار بمختلف اشكاله في جميع انحاء العالم، وسيقدم العون لجميع الشعوب المناضلة ضد الاستعمار.

ب ـ لم تكن الحرية بشكلها السياسي مفهوما مجردا مطلقا، وحتى الحرية بمفهومها البرجوازي لم تكن كذلك، بل هي دائما حرية ملموسة ذات مضمون اجتماعي محدد، منحت لطبقة ومنعت ـ بشكل او بآخر ـ عن اخرى. عندما قامت البورجوازية بثورتها ضد الاقطاع كانت تنادي بالحرية المثالية المطلقة باسم الشعب كله، ولكن عندما استلمت السلطة انقلبت الحرية عندها لمصلحة طبقية محددة. ولم تتردد البورجوازية بالدروس على مثاليتها لاستغلال الدولة الديمقراطية ولضرب الجماهير الشعبية عندما يتهدد مصالحها الخطر. لقد حولت البورجوازية الحرية المطلقة او ما يسمى بحقوق الانسان الى مصلحة طبقية. ان الديمقراطية بشكلها الحالي في اوروبا الغربية لم تكن منحة البورجوازية للجماهير الشعبية بل هي ثمرة نضال جماهيري طويل عنيد.

ج ـ نشأ النظام البرلماني في اوروبا الغربية مع صعود البورجوازية ونموها، فكان ـ تبعا لهذا ـ الغلاف السياسي للنظام الاقتصادي البورجوازي. ولم تكن البرلمانات لتمثل في البداية الا الطبقات المالكة، ومع نمو الحركة العمالية ونتيجة لنضالها السياسي الطويل اتسع حق الانتخاب حتى اصبح عاما، وتزايد نفوذ القوى الجماهيرية فيها. الا ان التغيرات التي طرأت على بنيان الدول الرأسمالية قد ادت الى حصر السلطة الحقيقية في الاجهزة الادارية والاقتصادية والعسكرية للدولة. وهكذا عجز ((قانون العدد)) عن التعبير عن ارادة الجماهير وتحقيق اهدافها، لان البورجوازية التي تتمتع بامتيازات فعلية

واقعية استطاعت ان تحول النشاط البرلماني الى خادم للاقتصاد الرأسمالي.ولم يؤد دخول الطبقة العاملة في برلمانات اوروبا الغربية الى قلب سلطة البورجوازية، بل اضطرها فقط الى تبني اشكال واساليب جديدة اكثر مرونة وفهما لمتطلبات الواقع، فامتصت بعض المطالب العمالية، وبردت النضال الثوي للجماهير واستمرت البورجوازية في الحكم.

لقد اخذ النظام البرلماني بالتداعي، وتفاقمت ازمته مع انتصار الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي وقيام نظام الحكم الفاشستية في فترة ما بين الحربين العالميتين وانتصار الثورات القومية في آسيا ودخول البلدان الرأسمالية الصناعية في عصر الثورة الصناعية الجديدة.

د ـ بما ان النظام البرلماني هو طريقة البورجوازية الغربية في الحكم وجزء من البناء الفوقي لتلك المجتمعات، لذا جاء تطبيق البرلمانية في بعض الاقطار العربية مجرد نقل لواجهة غربية مقطوعة عن جذورها السياسية والاقتصادية، ولم تتولد عن معطيات الحركة القومية الاشتراكية، وحاجاتها العملية المباشرة.

ان المجتمعات العربية ليست مجتمعات بورجوازية محضة، بل هي مجتمعات شبه اقطاعية ـ قبلية ـ بورجوازية، ولهذا بقيت البرلمانية في وطننا مجرد بناء كرتوني هزيل ونسخة مزيفة عن البرلمانية الغربية.فلم تستطع مواجهة مهام النضال القومي الاشتراكي من جهة، كما انها لم تستطع ايضا ترسيخ جذورها في الحياة السياسية من جهة اخرى.

ان ظاهرة الانقلابات العسكرية قد اصبحت ملازمة لهذا النظام في وطننا، وهي عقاب له فشله في نفس الوقت.لقد عكست البرلمانية في وطننا الوضع الاجتماعي المتخلف شبه الاقطاعي والعشائري والطائفي، ومن خلال التناقض بين تطلعات الجماهير وواقع البرلمانية الرجعي المتخلف وكانعكاس سلبي عفوي لغضب الجماهير انفجرت الانقلابات العسكرية، وتعاقبت الديمقراطية البرلمانية والانقلابات العسكرية كل واحدة منها تحمل بذور الاخرى لتجهضها.

لكل هذه الاسباب فان فشل البرلمانية وسقوطها في الاقطار العربية ليس ناجما عن تطبيقها السيئ من قبل جماعات سيئة فقط، بل املاها الواقع الموضوعي الملموس ومعطيات تطور النضال الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي والبلدان المتخلفة عموما.

ان فشل الحكم الفردي الذي يستشرف آفاقا متقدمة في ايجاد بديل ناجح للديمقراطية البرلمانية، ليس تبرئة لهذه الديمقراطية، كما انه ليس دليلا على جدواها وان كانت البورجوازية

والرجعية تجد في هذه الظاهرة تبريرا لمفهومها المشوه للديمقراطية.الا ان فشل الحكم الفردي البيروقراطي في تعبئة طاقات الجماهير تعبئة ثورية كاملة تتيح اسسا واقعية لتركيز التحويل الاشتراكي على اسس ديمقراطية يؤكد من جديد للجماهير الشعبية الكادحة وطلائعها الثورية ان الديمقراطية الثورية لا يمكن ان تأخذ كل مداها التطبيقي الفعال الا اذا قامت على تنظيم شعبي طلائعي فعال للعمال والفلاحين خصوصا وجماهير الكادحين عموما.

هـ ـ ان الديمقراطية الشعبية الثورية ليست صيغة مثالية لتنظيم السلطة معزولة عن الظروف الواقعية الملموسة لنضال الجماهير والمرحلة التي يمر بها.كما انها ليست رغبة ذاتية لانها مرتبطة ارتباطا عضويا بمدى نمو النضال الجماهيري في العمق والاتساع، وهي اخيرا مرتبطة بتطور الثورة وحاجات البناء الاشتراكي.

وفي الظروف الراهنة، حيث يجري الانتقال من المجتمع شبه الاقطاعي ـ الرأسمالي (في عدد من الأقطار العربية) يجب نقل السلطة من الطبقات الاقطاعية البورجوازية الى الطبقات الكادحة، ولهذا يجب تخطي ((البرلمانية)) باعتبارها احد اشكال سيطرة تلك الطبقات على الجماهير الشعبية.

ان تخطي ((البرلمانية)) لا يعني الانتقال الى اشكال للحكم ديكتاتورية او فردية بيروقراطية او عسكرية، بل يعني زوال الاطار البورجوازي ـ شبه الاقطاعي للديمقراطية والانتقال الى ديمقراطية اوسع واعمق وامتن واسلم، هي الديمقراطية الشعبية التي تكفل لجم الرجعية من جهة وتؤمن تعبئة طاقات الجماهير وامكانياتها في عملية البناء الاشتراكي الثوري للمجتمع العربي من جهة اخرى.ان الديمقراطية الشعبية هي التي تطور السلطة دوما وتجدد اندفاعات الثورة وتعزز مكاسب الجماهير وتوسعها وتصونها وتوفر المناخ لنمو التحرك الجماهيري وتعمق جذوره وعيا وتنظيما.

و ـ اذا كان مفهوم الديمقراطية الشعبية ينطوي على توفير ديمقراطية واسعة للجماهير الشعبية، الا انه يؤكد ـ في نفس الوقت ـ ضرورة عزل القوى الطبقية والسياسية المعادية للثورة الاشتراكية.وهذا العزل ينبغي ان يأخذ شكله القانوني من جهة كما ينبغي ان ياخذ شكله الشعبي من جهة اخرى.ان بقايا فكرة ((التعاون الطبقي)) في اذهان القسم المتأخر من الجماهير ينبغي ان تسقط وتصفى.ان المعركة مع القوى الرجعية المعادية للثورة تقتضي نضالا طويلا عنيدا متنوع الاشكال وعلى مختلف المستويات وعلى جميع

قطاعات الحياة الاجتماعية والسياسية والادارية والعسكرية والثقافية.ان مقتضيات المعركة مع الرجعية لا تقتضي قمع كل محاولاتها التخريبية وردعها فحسب، بل الاستئصال من الجذور.ان الرجعية لم ترحم الجماهير الكادحة طوال آلاف السنين، لذا فان الجماهير لا بد ان تضع مسألة الصراع الطبقي ضد الطبقات الرجعية بشكل واضح وحاسم: اما ان نعيش نحن واما ان تعيش الرجعية، وكل تسوية وسط اكذوبة او خدعة نتيجتها انقاذ الرجعية.

تملك الرجعية المحلية في كل قطر عربي – مهما بدت لنا انها ضعفت – قوى هائلة واسلحة كثيرة.لديها ثروات مادية، لها نفوذها المعنوي والفكري، لها قراباتها وابناؤها في اجهزة السلطة، وهناك اخطاء الثورة ونواقص عملها، وهناك اخيرا الرجعية العربية والاستعمار العالمي .. هذه الاسلحة تمنح الرجعية نفسا طويلا في المقاومة وتتيح لها الامكانيات لاستجماع قواها وخوض المعارك ضد الجماهير الشعبية عن طريق التخريب وعرقلة التحويل الاشتراكي تارة، وعن طريق حبك المؤامرات تارة اخرى.ولهذا فالمعركة ضد الرجعية لا تحتاج الى شجاعة اقتحامية بقدر احتياجها الى شجاعة واعية دؤوبة منظمة.

ز – ان الديمقراطية الشعبية لن تأتي عبر اسلوب تمثيلي للجماهير الشعبية بدون اطار سياسي ثوري وبدون طلائع ثورية منظمة، تشمل العناصر النضالية الاعمق وعيا والاشد ثباتا، المتمتعة ببعد النظر السياسي والكفاءة في العمل والملينة بروح التضحية بالذات والمخلصة الى اقصى حد لقضية الجماهير.هذه الطليعة الثورية هي التي تعطي الديمقراطية الشعبية روحها الثورية، وهي التي تعكس بصدق وامانة مطامح الجماهير في الثورة القومية الاشتراكية.هذه الطليعة هي وحدها التي تؤمن التوازن والانسجام بين مركزية التنظيم الشعبي وفعاليته ووحدة النضال الثوري ووحدة العمل البنائي وبين ديمقراطية التنظيم التي يفرضها الطابع الشعبي للثورة، الذي يؤمن تعبئة الطاقات الانسانية للجماهير تعبئة كاملة.

ان التنظيم الطلائعي الثوري، الذي يحافظ دوما على صلات عميقة حية بالجماهير يتقدمها ويبقى مشدودا بها في نفس الوقت، يعلمها ويتعلم منها، يعيش معها في صلات تفاعل لا صلات وصاية، ان مثل هذا التنظيم هو وحده الذي يمكن ان يؤمن الطابع المركزي والديمقراطي للسلطة الديمقراطية الشعبية.ان سلطة تتوفر فيها مثل هذه الشروط هي وحدها التي تستطيع ان تخطط

وتعبئ وتجند الجماهير الشعبية لتحريك جميع الطاقـات البشـرية والماديـة لتحقيـق التحويـل الاشتراكي والانماء الاقتصادي.

ح – ان مركزية السلطة الديمقراطية الشعبية لا يمكن ان تتوفر، على نحو جاد وفعـال، الا اذا جاءت حصيلة للتنظيم السياسي الطلائعي الثوري.الا ان هذه المركزية لا يجب ان تلغـي مبدأ الانتخاب وتحوله الى عملية شكلية.ان الشرط الاساسي لديمقراطية المجالس الشعبية وثوريتها هي في تكوين هذه المجالس عن طريق الانتخاب الحر المباشـر علـى جميـع المستويات، في القرية والمدينة والمنطقة والمحافظة .. ثـم علـى المسـتوى القطـري فالقومي.

ان مهمة الطليعة القومية الاشتراكية تأمين الجمع بين ثورية مبدأ الاقتراع الشعبي وحريتـه في انتخاب الهيئات التمثيلية والمجالس الشعبية.ان مثل هذه المهمة لا يمكـن ان تتحقـق الا اذا استطاعت هذه الطليعة تأمين التفاف الاكثرية الساحقة من الجماهير حولها، عن طريـق اعتبـار الجماهير قاعدة الثورة وحاميتها وبالتالي رفض مبدأ الوصاية على الشعب او ممارسة السلطة عن طريق التفويض نيابة عن الشعب.ان حيزا ضيقا يفصل بين مفهوم ((النخبة)) الفاشسـتي وبيـن مفهوم الطليعة الاشتراكي.ففي حين ان مفهوم ((النخبة)) ينظر الى الجماهير مجرد قطيع منفعـل سلبي تسوقه ((النخبة)) الى ((السعادة والعدالة))، مما يؤدي عمليا الى الانغلاق عـن الجمـاهير والتعالي عليها، فتنزلق ((النخبة)) بالضرورة الى الانعزال عن الجمـاهير وممارسـة دكتاتوريـة مباشرة عليها، عن طريق الارهاب تارة او تشويه الرأي العـام وتكييفـه وفـق رغباتـها تـارة اخرى.اما مفهوم الطليعة الاشتراكي فيرى في الجماهير جوهر الثورة والديمقراطية، ويؤدي الـى انفتاح واع متواضع عليها، بعمق الصلات الحية مع الجماهير الى درجة عضوية، ويدفع بها فـي طريق النضج والتخلص من التأثيرات المعنوية للواقع الاقطاعي – البورجـوازي، عـن طريـق التفاعل المتبادل الودي الذي يعتبر الشعب منبع الحكمة ومصدر الثورة.

ان تطبيق الديمقراطية الشعبية على نحو ثوري لن يتم عبر الرغبات الذاتية للطليعـة، ولـن تتوفر عن طريق الاصرار على تكرار شعارات الحرية والديمقراطية بل لا بد مـن خلـق اسـس موضوعية تكفل جدية هذا التطبيق واصالته، والاساس الموضوعي الحاسم لتطبيق الديمقراطية هو اقتدار الطليعة على قيادة اكثرية الجماهير الساحقة قيادة قائمة على ثقة الجماهير الحرة العميقـة بهذه الطليعة لان حزبا بلا جماهير لا بد ان ينحط الى عصابة تمارس الطغيان على الجماهير.

ان الطليعة الثورية الاشتراكية اداة في احداث تحول في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، الا ان هذا التحول لكي يتحقق على نحو جذري وانساني شامل يجب ان تحققه الجماهير نفسها.اما الطليعة الاشتراكية فتقوم بدور الوسيط والقائد (وان كانت في السلطة) الذي يعمل على ضبط مسيرة الجماهير نحو مستقبل الاشتراكي بشكل علمي وبأسلوب ديمقراطي.

ط ـ ان التنظيم السياسي للسلطة الثورية الشعبية في ظروف البناء الاشتراكي في بلد متخلف ينبغي ان يقوم على اسس توفر الجمع بين وحدة القيادة وقوتها وبين ديمقراطيتها وشعبيتها.ولهذا فان مبدأ المركزية الديمقراطية هو الاساس الملائم لقيام مثل هذه السلطة.وتؤمن ديمقراطية هذه السلطة عن طريق انتخاب هيئات السلطة السياسية من قبل الشعب وتأمين ـ رقابة دائمة وفعالة من قبل الشعب على هذه الهيئات وعن طريق انتخاب الهيئات العليا من قبل الهيئات الدنيا وانعقاد مؤتمرات للمجالس الشعبية وللمنظمات بصورة دورية.ان الديمقراطية يجب ان تتسلسل وهي صاعدة الى الاعلى، الى ان يصبح مبدأ جماعية القيادة الصورة الديمقراطية للسلطة الثورية في القمة.الا ان القيادة الجماعية، لا تعني تمييع المسؤلية ولا يجب ان تعرقل المبادرات اليومية للسلطة الثورية، كما لا يجب ان تمنع الحركة المرنة المطلقة لهذه القيادة.

اما المركزية في التنظيم السياسي للسلطة فتتأمن عن طريق خضوع الاقلية للاكثرية خضوعا طوعيا مخلصا، وخضوع الهيئات الدنيا للهيئات العليا، وخضوع الهيئات والمنظمات لقرارات القيادة المركزية وتوجيهاتها.

ي ـ ان ممارسة الجماهير الشعبية لحقوقها الديمقراطية على نحو واع ومنضبط ومسؤول يقتضي تعبئتها في اطارات تنظيمية تمنحها القوة وتتيح توعيتها سياسيا واجتماعيا.هذه الاطارات هي نقابات العمال ونقابات الفلاحين، الاتحادات الطلابية، منظمات الشبيبة، منظمات الموظفين والمستخدمين، الاتحادات النسائية .. الخ.ان المجالس التمثيلية الشعبية لا تستنفد اشكال التنظيم الشعبي وابعاده، ولا تلغي دور تلك الاطارات بل تكملها.وبدون الاطارات التنظيمية والمجالس الشعبية تتحول الجماهير الى ((سديم)) بلا قوة وبلا وعي وبلا انضباط واع مسؤول.

طبيعي ان الحزب لا يمكن ان يستوعب كل الجماهير الشعبية، بل طليعتها فحسب، ولهذا فهو ((المحرك)) الذي يسير المنظمات والمجالس الشعبية ويقودها، هو الذي يبلور مطامحها برؤيته

العميقة النفاذة لحالة الجماهير الفكرية، وهو على هذا النحو يؤمن ثورية الممارسة الديمقراطية وشعبيتها.

ك ـ ان ربط قضية الديموقراطية على نحو مجرد ومطلق بمبدأ تعدد الاحزاب يمثل المنطق البورجوازي في فهم الديمقراطية.ان هذه القضية يجب ان تفهم دوما على اساس الظروف التاريخية الملموسة للصراع الاجتماعي والسياسي.

ان حزبا رئيسيا يقود جبهة من القوى السياسية تمارس السلطة الثورية لا يؤدي بالضرورة الى الابتعاد عن الديموقراطية.

ان مبدأ ((الحزب القائد)) اصبح امرا تمليه الضرورة المرحلية لوجود سلطة مركزية ثابتة تقود عملية البناء الاشتراكي، كما اكدته التجارب الثورية الاشتراكية في العالم وبنوع خاص ظروف البلدان النامية، الا ان ضمان ممارسة شعبية للديموقراطية (وهي شرط لنجاح البناء الاشتراكي) يتوقف على شرطين:الشرط الاول هو قدرة الحزب على قيادة الاغلبية الساحقة من الجماهير الشعبية وان يؤمن التفافها الطوعي الواعي حوله.والشرط الثاني هو ممارسة الديموقراطية الداخلية في الحزب القائد.

ان ممارسة الديموقراطية داخل الحزب القائد ليست مجرد انتخاب وتصويت ومناقشات لا مسئولة وغير واعية في الاجتماعات. فالديموقراطية لكي تكون وسيلة لتطوير الحزب تطويرا دائما ولكي تكون وسيلة لتعميق صلاته بالجماهير، ولكي تكون وسيلة لترسيخ سياسته المبدئية والثورية وطرح كل ما هو انتهازي ولا مبدئي وغير ثوري، ينبغي ان تتوافر في الحزب ظروف موضوعية تتيح هذا الضرب من الممارسة الجادة الواعية للديموقراطية، ومن هذه الظروف:

١-ان سياسة الحزب ينبغي ان تكون واضحة ومحددة دوما، ومنسجمة مع منطلقاته الايديولوجيه واهدافه الاساسية.ان التوضيح الدائم لسياسة الحزب التكتيكية والاستراتيجية على نحو تحليلي موصول مع المنطلقات النظرية للحزب، هو وحده الذي يتيح استيعاب سياسة الحزب من قبل قواعده من جهة، كما انه يمكن هذه القواعد من شرح هذه السياسة على نحو واضح وعلمي للجماهير اللاحزبية من جهة اخرى.وهو بالاضافة الى ذلك ـ وبالاساس ـ يتيح للقواعد فرص مناقشة سياسة الحزب مناقشة واعية مسؤولة تمكن من تصحيح هذه السياسة وتعديلها اذا اقتضى الامر ذلك.

ان الوضوح الدائم في سياسة الحزب يساعد على خلق الشروط الموضوعية لانضباط طوعي في صفوف الحزب، كما انه يساعد على عزل العناصر الانتهازية والمخربة في صفوفه.

٢-الكفاح الدائم تجاه ظواهر التخلف والانحراف التي قد تتسرب من الواقع البورجوازي ـ الاقطاعي ـ العشائري الى صفوف الحزب.

ان انعدام الثقافة السياسية والمقاييس العلمية في التحليل والتفكير لا بد ان تؤدي الى خلق التكتلات العشائرية والروح الخلقية والنفسية الاقطاعية داخل صفوف الحزب.ففي افتقاد تربية ديمقراطية في صفوف الحزب، وفي حال الغموض العقائدي الايديولوجي، تفسد العلاقات المبدئية الموضوعية بين المناضلين الحزبيين وتؤدي بالبعض الى التفتيش عن روابط اخرى.وهكذا تنزلق قواعد الحزب الى مجموعات فوضوية متخلفة تتمركز حول مفاهيم متخلفة او الى حلقات صداقة فردية او حول اشخاص.وهكذا تنحدر الى الاستسلام لبقايا عادات فكرية خلفتها عهود تاريخية بائدة.

ان نفسية البورجوازية الصغيرة وعقليتها تهددان دوما بافساد الديمقراطية في داخل الحزب وبخلق هوة بين الحزب وبين الجماهير البسيطة اللاحزبية.ان نفسية البورجوازية الصغيرة وعقليتها اللتين تتمثلان بالكبرياء الفردية والغرور والسهولة في النضال والسلوك المظهري الشكلي والتهويش والغلو الذي يتستر بالثورة والركض وراء المنافع والمناصب، والتعالي على جماهير الشعب، وعلى المناضلين المتواضعين، والابتعاد عن العمل اليومي البسيط الدؤوب في اصغر الوقائع والقضايا مع الاكثار من الثرثرة ((الثورية))، والاكتفاء بالوعظ دون التفتيش عن ادوات موضوعية للنضال، كل هذه هي صفات البورجوازية الصغيرة التي تفسد ديمقراطية الحزب، وتؤدي الى عزل الحزب عن الجماهير، وتحويله الى حلقة اذا كان في دور النضال لاستلام السلطة، او قد تمسخ الحزب الى طبقة بيروقراطية فوق الشعب اذ كان في السلطة.

٣-ان ممارسة ثورية للديمقراطية تقتضي التثقيف العلمي الدائم في صفوف الحزب.ان النضال الثوري وممارسة المسؤولية السياسية ليسا مجرد نوايا حسنة مخلصة تجاه الجماهير،كما انهما ليسا مجرد قيم اخلاقية فردية تتوفر في مناضلي الحزب.ان مثل هذه المزايا رغم ضرورة توفرها في المناضل الحزبي، الا انها لوحدها، لا تؤهله لممارسة واعية للديمقراطية داخل الحزب، كما انها ليست كافية لممارسة نضال ثوري ايجابي هدفه تحويل المجتمع.

ان المنطق العلمي الذي يقوم على التحليل العلمي الموضوعي لظروف النضال وعلى التحليل الواقعي للاوضاع الملموسة التي ما تبرح في تطور وتغير، هو وحده الذي يتيح رفع الكفاءات الفكرية في صفوف الحزب، وهو الذي ينفي جميع اشكال التفكير الذاتي، كالارتجال والنظرة التقريبية والكسل العقلي والتفكير الوعظي وسائر النزعات المثالية في التفكير.ان هذا الضرب من التفكير يفسد العلاقات الموضوعية داخل الحزب، ويجعل الحزب عاجزا عن خلق الادوات الموضوعية لنضاله الثوري.

ل – في ظروف الانتقال الى الاشتراكية، شهدت معظم التجارب الاشتراكية الثورية ظاهرة سلبية خطيرة في مرحلة رأسمالية الدولة، وهذه الظاهرة هي نشوء طبقة جديدة هي البيروقراطية.وقد استفحل خطرها وتفاقم في عدد من البلدان الاشتراكية واصبحت عقبة امام تطوير الديموقراطية، وشوهت التطور الطبيعي للعلاقات الاشتراكية في المجتمع واصبحت تشكل قوة خاصة لخذت مكانها فوق المنتجين المباشرين بشكل خاص وفوق جماهير الشعب بشكل عام.

ان نظام راسمالية الدولة وضعف الطبقة العاملة العددي والتنظيمي يخلق الظروف الموضوعية لنمو البيروقراطية.لذا فان الادارة الديموقراطية لوسائل الانتاج وتنظيم الطبقة العاملة والحفاظ على استقلالها النسبي عن السلطة، سيفتح الطريق لتطوير الديموقراطية الشعبية وسيسهم في التخفيف من المظاهر السلبية في نظام رأسمالية الدولة.

لقد اصبحت الادارة الديموقراطية لوسائل الانتاج شرطا اساسيا لممارسة الديموقراطية الشعبية على الصعيد السياسي.ولهذا ينبغي ان تضطلع المجالس العمالية بدور اساسي في ادارة المشروعات الانتاجية الصناعية، ومع مراعاة ضرورات البناء الاشتراكي ومقتضيات التطور الفني التي ما برحت في تعقيد، ينبغي ان يلقى على عاتق الطبقات العاملة عبء ادارة الصناعة بصورة متدرجة الى ان تأخذ شكلها الاساسي الفعال، الذي يضمن قيادة عمالية لعمليات الانتاج ويفتح الطريق لمبادرات جماهير العمال في تحسين العمل وزيادة الانتاج، وتنظيم العمل الاداري، وتؤمن تصحيح الظاهرات الروتينية وغير الانسانية في قيادة المصانع ومشروعات الانتاج.وتكفل اخيرا اندماجا واعيا مخلصا للطبقة العاملة في قضايا البناء الاشتراكي وتنمي فيهم الاحساس باخلاقية العمل الانساني واعتباره شرفا للانسان لا عبئا يثقل كاهله.

م ــ في ظروف حكم طبقي معين لا بد ان يكون الجهاز الاداري للسلطة صورة لهذا الحكم واداة من ادواته.لهذا فان الحزب في الظروف التي يمسك فيها بزمام السلطة مطالب بتطوير اجهزة الدولة بحيث تصبح هذه الاجهزة في خدمة الجماهير الشعبية لا عبئا عليها، وتصبح قادرة على المساهمة الفعالة في قضايا البناء الاشتراكي.

ان انفصال هذه الاجهزة عن الشعب امر ملموس، كما ان الارتباطات القوية والعلاقات المتشابكة بين الفئات العليا من هذه الاجهزة وبين الرجعية سيجعل من بقاء هذه الاجهزة على حالتها الراهنة عامل عرقلة لتطوير الديموقراطية الشعبية.لذا فان نقطة الانطلاق لتطوير هذه الاجهزة تطويرا اشتراكيا وشعبيا، هي ايجاد رقابة شعبية صارمة عليها.ان هذه الرقابة ستجدد عقلية هذه الاجهزة واسلوبها وطريقة عملها، وستنقذها من الروتين واللامبالاة والجمود البيروقراطي، وستحرر الموظفين من العلاقات التجارية مع الدولة وتحول الموظف الى مواطن لاصق بقضايا الشعب مؤمن باهداف الجماهير.

ن ــ ان الممارسة العملية للديمقراطية الشعبية تقتضي نبذ مبدأ ابعاد الجيش عن السياسة، وهي تبقى مبتورة ومشوهة لانها تحرم جزءا هاما من المواطنين من ممارسة حقوقهم السياسية.ان النتيجة العملية لمبدأ ابعاد الجيش عن السياسة هي السيطرة على الجيش او قسم منه على الاقل، واستخدامه كقوة احتياطية بيد الرجعية.بل ان فكرة الجيش المحترف هي بالاساس مبدا الرجعية والبورجوازية في الحكم، لان الاحتراف الصرف، مصحوبا بالامتيازات المادية، سيجعل من الجيش اداة طيعة للطبقات المستثمرة.

ان النضال الثوري الذي خاضته الجماهير العربية قد لقي انعكاساته وصداه في القطاع العسكري في عدد من الاقطار العربية، وتكونت في بعض من الاقطار جيوش ثورية بكل ما في كلمة ثورية من معان وابعاد.لذا اصبح العمل السياسي في القطاع العسكري حقيقة اساسية في التطور التاريخي للنضال العربي، وكل محاولة لانكار هذه الحقيقة لا بد ان تكون تخريبيا للثورة وعرقلة لسير التحويل الاشتراكي.

ان الممارسة الديمقراطية للسياسة ليست حقا للمواطنين الذين يعملون في القطاع العسكري فحسب، بل هي ضرورة اساسية من ضرورات البناء الاشتراكي.وخلال مسيرة النضال الثوري الاشتراكي، ينبغي صرف الاهتمام الدائم لا لاقتلاع بقايا الرجعية وسد الطريق امامها فحسب، بل يقتضي ايضا ــ وبالاساس ــ العمل على تطوير الطابع الوسطي لاطارات الجيش على نحو شعبي

واشتراكي.ويبدو هذا التطوير اكثر الحاحا كلما ازداد الصراع الطبقي والتناقض الاجتماعي حدة خلال السير نحو التحويل الاشتراكي وتوسيعه.

ان دمج القطاعات الطلائعية الثورية العسكرية والمدنية دمجا عضويا ضرورة ملحة لخلق تفاعل ايديولوجي بينهما، يتيح وحدة في التفكير ومجابهة مشتركة مباشرة وعملية متكاملة لقضايا البناء الاشتراكي، تمنع التقوقع العسكري وتصهر الجيش والشعب في مصير ثوري مشترك.

ان التثقيف السياسي والايديولوجي للجيش لا يقل اهمية ـ بحال من الاحوال ـ عن التدريب العسكري، بل بالعكس فانه يخلق مناخا ملائما لقيام مفهوم ثوري جديد للانضباط يقوم على اساس الايمان بالمثل العليا لا الخوف من القسر.كما انه يصفي الاساليب البورجوازية الاحترافية في العلاقات بين الرئيس والمرؤوس، ويخلق علاقات رفاقية يحركها الايمان بقضية الجماهير ويصبح القسر فيها وسيلة استثنائية لن تنال الا العناصر غير السوية.

ان خدمة العلم شرف للمواطن يجب ان يؤديها الجميع، وفي بلاد متخلفة كوطننا، يمكن ان تتحول خدمة العلم الى مدرسة للثورة الاشتراكية، ووسيلة للقضاء على الامية والتخلف الفكري لتحريك الريف تحريكا ثوريا يكمل وينمي الثورة الزراعية الاشتراكية ويعطيها مضمونها الانساني.

س ـ ان التزام الحقيقة هو عامل اساسي في ممارسة الديمقراطية الشعبية على نحو ثوري.ان الحقيقة ثورية واخلاقية في نفس الوقت، والتزامها هو وحده الذي يميز الثورية عن الانتهازية وهو الذي يميز الدعوة عن الدعاية، وهو الذي يميز التقدمية عن الديماغوجية.

ان حجب الحقيقة عن الجماهير تنكر لابسط مقتضيات الديمقراطية، وهو شك في حكمتها وقدرتها على التمييز بين الخطأ والصواب.ان الشك بحس الجماهير السليم اول مراحل الانزلاق نحو المفاهيم الفاشستية.

ان المرونة والواقعية في العمل السياسي تقتضي التفكير في حصيلة موقف ما وفائدته.الا انه ينبغي التمييز دوما بين الفائدة المباشرة والمؤقتة وبين الفائدة الدائمة والبعيدة.ان هذا التمييز هو احد الخصائص الاساسية التي تميز الثورية عن الانتهازية.وان شعار المصلحة المفهوم فهما صحيحا وعلى مدى بعيد ودائم لا يمكن ان يتعارض مع احترام الحقيقة.

ان التزام الحقيقة امام الجماهير سيكون وسيلة لتثقيف الجماهير وعاملا اساسيا في تكامل نضجها السياسي.ولهذا فان الطلائع الثورية والسلطة الثورية مطالبة دوما بمصارحة الشعب بكل

ما يتعلق بشئونه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مطالبة بان تكشف الاخطاء متعمدة كانت او عفوية، صغيرة او كبيرة، مطالبة بان تكشف جوانب الضعف في التطور وان تبين الصعوبات والعقبات التي تواجه البناء الاشتراكي سواء جاءت عن طريق الجهل او الانتهاز او الاهمال او التخريب.

ان الطريق ليس ممهدا امام الحكم الثوري، والتناقضات قد تعرقل سيره.وقد يضطر الى القبول بعدد من التنازلات المؤقتة او المساومات الضرورية، وقد يجبر على التراجع احيانا.كل هذا ممكن وقوعه في شتى ميادين العمل الثوري.وفي مثل هذه الحالات ينبغي مواجهة الشعب بهذه الحقيقة دون مواربة ودون لبس ودون تبرير انتهازي غير حقيقي.يجب ان يعرف الشعب الانتصارات والنكسات، المكاسب والخسائر.يجب ان يصارح الشعب بحقيقة كل مساومة وكل تراجع مناقضة للموقف المبدئي العقائدي، قد تفرضه الظروف المرحلية وقد تمليه التناقضات غير الاساسية وقد يمليه عدم قدرة الثورة على مواجهته في ظرف ما بالذات.

ان المصارحة بالحقيقة لن تثبط العزم الثوري للجماهير عندما تقودها طلائع ثورية متمرسة واعية، بل العكس ستؤمن تعبئة جدية وتخطيطا واعيا لتصفيته في ظرف آخر وفي مرحلة اخرى.

ان كل محاولة لحجب الحقيقة هي انحدار علني من الثورية الى الانتهازية.

ع ــ ان انتشار الامية بين الجماهير الشعبية سيعوق ممارستها للديمقراطية، وستبقى هذه الممارسة مبتورة وسطحية وشكلية، اذا لم تقترن بتثقيف سياسي يوفر للجماهير الحد الادنى من الثقافة التي تمكنها من استيعاب الامور العامة والخطوط العريضة لقضايا السياسة والبناء الاشتراكي.ولهذا يبدو من الضرورة والاولوية بمكان تصفية الامية تصفية تامة وسريعة، والعمل على تعليم المواطنين الاميين واشباه الاميين لا القراءة والكتابة فحسب، بل تمكينهم من استيعاب حد معين من المعارف يتيح لهم ممارسة حقوقهم الديمقراطية بوعي.ان تصفية الامية واجب ملح على السلطة والحزب وجميع المنظمات الجماهيرية.

ف ــ ان الممارسة الكاملة للديمقراطية الشعبية ستبقى مبتورة ما دامت المرأة بعيدة عن الحياة العامة للمجتمع، لذا اصبح تحرير المرأة العربية ضرورة ديمقراطية بالاضافة الى كونها ضرورة انسانية.ان النظرة الدونية الى المرأة جزء لا يتجزأ من ايديولوجية المجتمع الاقطاعي ــ العشائري ولهذا فان تحرير المرأة يقع في رأس مهمات الثورة القومية

الاشتراكية.وان بناء مجتمع عصري ديمقراطي متحرر لا يمكن ان يكون تاما وسليما الا اذا واجه قضية تحرير المرأة مواجهة مبدئية شاملة جريئة.وان التعليم وحده لا يمكن ان ينجز مهمة تحرير المرأة على نحو ثوري، وان الاستسلام للتطور العفوي لقضية تحرير المرأة، سيجعل جوانب سير التطور العربي مختلفة وغير متجانسة.وان البناء الاشتراكي للمجتمع سيكون مشوها وهجينا اذا لم تحل قضية تحرير المرأة في المجتمع العربي حلا جذريا.لان الاشتراكية حل لمشكلة الكائن الانساني رجلا كان ام امرأة.

ان انحسار النفوذ الاستعماري، وتفكك النظام الاقطاعي العشائري وانتشار التعليم قد دفع بقضية تحرير خطوات الى الامام.الا ان المجتمع الاشتراكي هو وحده الذي يوفر ظروفا موضوعية لتحرير المرأة على نحو سريع وجذري.

ان الحزب والسلطة الثورية، يجب ان يعملا على مكافحة العقلية السلبية تجاه المرأة وان يعملا لتصفية آثار الافكار الرجعية، وان يحولا هذا الكفاح الى اسلوب عملي تطبيقي يتيح لها المساهمة الفعالة في الحياة العامة وفي النضال.هذه المساهمة الفعالة في الحياة العامة وفي النضال، هذه المساهمة الفعلية، هي التي ترفع كل القيود التي تمنع تطور المرأة وتفتح شخصيتها الانسانية.الا ان الحزب والسلطة الثورية مطالبان في نفس الوقت بالوقوف في وجه المفاهيم السطحية الشكلية البورجوازية لتحرير المرأة، المنافية للجوانب الايجابية في التقاليد العربية والمعرقلة في الوقت نفسه لقضية البناء الاشتراكي.

ان حرية المرأة الحقيقية لا يمكن ان تتوفر الا بالنضال على جبهتين: النضال ضد الاطر والتقاليد والعادات المتخلفة، والنضال ضد المفهوم البورجوازي الشكلي للحرية، وربط هذا المفهوم الجديد لحرية المرأة بقضية البناء الاشتراكي للمجتمع العربي.

((الاشتراكية))

ملامح الطريق العربي الى الاشتراكية

— ١ —

كان حزب البعث العربي الاشتراكي اول حركة ثورية في الوطن العربي طرحت القضية الاشتراكية جنبا الى جنب مع القضية القومية، وناضلت في سبيلها باصرار ودأب.

إن منطلقات الحزب الاشتراكية الثورية كانت نقطة الانطلاق في فضح كل مظاهر التخلف والرجعية والفساد في معظم اقطار الوطن العربي.وكانت هذه المنطلقات الشرارة الاولى في نضال كشف تزييف الاجهزة السياسية التقليدية، وهيأ لتحطيمها.وفي وسط غارق في ظلام الرجعية العميلة والانتهازية، وفي مناخ سياسي اساليبه في التفكير والنضال بالية سقيمة تقليدية، كان صوت البعث العربي هو الصوت الوحيد القوي الذي انطلق بروح اشتراكية يفضح الواقع العربي الذي يسوده الاستعمار والاستغلال والتخلف.كان الحزب اول من حمل روح العصر الحديث الى ميدان النضال القومي العربي عندما طرح قضية الاشتراكية بصورة متلازمة مع القضية القومية.

وفي غمرة النضال العارم الدائم ضد الاستعمار، لم يضع الحزب القضية الاشتراكية على ((الرف)) ولم يسمح لنفسه بالغرق في شعارات مرحلية، كما فعلت الشيوعية المحلية، فقد كانت قضية الجماهير الكادحة ماثلة دوما امامه، ولم يبرر لنفسه أي تهاون في هذا السبيل.وهو في الاقطار التي رسخت فيها جذوره قد قاد نضالا مباشرا ضد الاقطاع والاستغلال الرأسمالي، واستطاع في هذه الاقطار ان يدفع بقسم هام من الجماهير الشعبية – لاول مرة في تاريخ النضال العربي – الى حلبة الصراع الطبقي والسياسي المباشر، وهو بهذا قد عمق جذور النضال القومي واعطاه مضمونه الشعبي الاشتراكي.

وبالرغم من ان مفاهيم الحزب الاشتراكية، في المرحلة الاولى، لم تكن واضحة ومحددة الا ان منطلقه الثوري في النضال قد جنبه الغرق في نزعة اشتراكية إصلاحية تجعله يندمج ويتأقلم مع الاطر البورجوازية للمجتمع العربي.وهو لهذا السبب قد كان يتخطى دوما في نضاله العملي اليومي كثيرا من المفاهيم الاشتراكية التي حددها في مبادئه العامة ومنهاجه في بداية نشوئه، واخذت نظرته الاشتراكية تكتسب طابعها العلمي وتتعمق جذريتها يوما بعد يوم.

– ٢ –

اذا كان تطور الحزب الفكري والعملي قد تخطى المفاهيم الخيالية والبورجوازية الصغيرة للاشتراكية الا ان هذه المفاهيم قد خلفت آثارا سلبية على تركيب الحزب الاجتماعي في بعض الاقطار من جهة وعلى افتقاد وحدة التفكير الاشتراكي في قواعد الحزب من جهة اخرى.لذا فان نقد بعض المفاهيم التي وجدت في الحزب بصورة جدية ومباشرة هو وحده الكفيل بتصفية آثارها تصفية نهائية.

أ ـ في مواجهة سلبية ناقصة للتحدي الشيوعي المحلي، وفي محاولة لتأكيد القضية القومية (في وقت كانت فيه هذه القضية غضة غامضة، تواجه النفي من قبل الشيوعية المحلية والتشويه من قبل العناصر القومية الرجعية) اطلق الحزب على الاشتراكية التي ينادي بها اسم ((الاشتراكية العربية)).وقد كان لهذا النوع من المواجهة جوانبه الايجابية في تلك الظروف، اذ تأكدت الشعارات القومية العربية وتعمقت جذورها الشعبية وتأكدت امكانية الوحدة، واصبحت المطلب الراسخ لجماهير الشعب الواسعة.

الا ان التأكيد على الصفة القومية للاشتراكية دون توضيح الاسس النظرية لهذه الاشتراكية قد يجر الى نوع من العصبية القومية السلبية تجاه الفكر الاشتراكي العالمي.وبدلا من ان يكون هذا التأكيد نقطة انطلاق لمجابهة علمية واعية للشعوبية المتسترة بالتقدمية بقي مجرد رفض سلبي، ولم يمتلئ بمضمون نظري، فالخصائص التي كانت تسبغ على اشتراكية الحزب والتي سميت بـ (العربية) بقيت مجرد كلمة خالية من مضمون علمي، ففصلت الاشتراكية في مرحلة من مراحل نضال الحزب عن لحمتها الاجتماعية والطبقية.

وبدلا من ان يكون المنطلق القومي للاشتراكية في الحزب سببا لاعطاء وجهة نظر واضحة مدروسة تتلمس خصائص الواقع العربي بكل تفاصيله وتناقضاته، والخروج بدراسات نظرية توضح الطريق العربي الى الاشتراكية، عن طريق تحليل التكوين الاقتصادي والطبقي للمجتمعات العربية .. بدلا من ان يكون هذا المنطلق سببا لانفتاح علمي واع على الواقع العربي تحول في عدد من كتابات الحزب الى مجرد شعارات عامة ومسميات عاطفية حول ((الخصائص العربية)) للاشتراكية ومزاياها الاصيلة.

وبالرغم من انه لم يبذل الجهد الكافي لتوضيح مضمون ((الخصائص القومية للشعب العربي)) وانعكاسها على اشتراكية الحزب الا ان بعض الكتابات الحزبية لم تخل من محاولات كهذه وان بقيت على العموم جزئية وناقصة ولم تصل الى حد اعطاء صيغة علمية واضحة للاشتراكية.

ان الاعتراف بالملكية الفردية بشكلها المطلق ورغم تضييق نطاقها، هو ضرب من المفهوم البورجوازي الصغير لان المفهوم الاشتراكي العلمي يعتبر العمل الانساني المصدر الوحيد للقيمة، لذا فان الملكية الفردية اذا تعدت نطاق الاستعمال الشخصي لا بد ان تكون مستغلة، مهما كانت الرقعة التي تمارس فيها الملكية نشاطها ضيقة او نسبة المردود الذي تعطيه منخفضة.

ولقد كان لاعتراف الحزب بالملكية كحق طبيعي آثاره الضارة على تركيب الحزب الطبقي وعلى التربية الحزبية.فالعقلية البورجوازية الصغيرة بحكم طابعها الفردي، ضعضعت في عديد من فروع الحزب تماسك الحزب التنظيمي لان تخوم الحزب الفكرية والطبقية بقيت منسابة فدخل روع كل من البورجوازية والجماهير الشعبية ملاءمة اشتراكية الحزب لمصالحهم، او عدم تعرضها لمصالحهم.وهكذا بقيت اطراف الحزب في بعض الفروع تلامس الجماهير الشعبية من جانب والبورجوازية والملاكين المتوسطين العقاريين من جانب اخر. وهكذا استطاعت العناصر البورجوازية الصغيرة والعقل البورجوازي الصغير ذات شأن هام في بعض الفروع.

واذا كانت العناصر اليمينية قد فشلت في جو الحزب الى مواقعها، الا ان الطابع الشعبي في تركيب الحزب بقي، في بعض المناطق، شاحبا وهزيلا.وبدلا من ان تبقى البورجوازية الصغيرة في المواقع الخلفية والثانوية للحزب، احتلت مواقع قيادية فيه، خلال فترات ليست بالقصيرة.ان الحزب وان كان قد شجب دوما مفهوم الاشتراكية الاصلاحية التي تدعو للتعاون بين الطبقات الا ان المواقع الهامة التي احتلتها البورجوازية الصغيرة في صفوف الحزب في بعض الفروع، قد عرقلت نضال الحزب الاشتراكي من ان يأخذ كل مداه ويصعد بالنضال الجماهيري الى نهايته الطبيعية نظراً لان السيماء السياسية للبورجوازية الصغيرة وهي سيماء (وسطية تعارض الطبقات المستثمرة من جهة وتخاف الجماهير الكادحة من جهة اخرى) تحمل معها دوما الاساليب الوسطية.ففي احد فروع الحزب انزلق بعض القادة في الحزب في سياسة انتهازية اصلاحية خلال فترات ليست بالقصيرة وفتحت بعض العناصر الانتهازية، التي اندست فيه، ثغرة في اطار السلطة البورجوازية الاقطاعية واستمرأت التكتيك الاستيزاري، وتسللت الى داخل هذا الاطار مكتفية بالجزئيات التي لا تمس جوهر النظام القائم.وهذه المجموعة وان طردت من الحزب الا انها تشكل ظاهرة مرضية تتعدى هؤلاء الاشخاص، وتتصل مباشرة بالغموض النظري وعدم التعمق الكافي في المفاهيم الاشتراكية واسلوب العمل السياسي.

— ٣ —

تهدف الاشتراكية الى اقامة نظام اجتماعي جديد يخلق ظروفا موضوعية، اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية جديدة، تعتق الانسان من جميع انواع الاستغلال والتسلط والجمود وتتيح له الفرص لكي يصير انسانا حرا كليا.

ولكي تكون الاشتراكية حلا كليا وجذريا لمشكلة الانسان العربي، لا بد ان يتوافر في النظام الجديد الظروف التي تهيئ:

أ ـ الغاء ظروف الاستغلال المادية، التي تسلب المواطن جوهره الانساني.

ب ـ تعميق المضمون الديمقراطي للاشتراكية، لان الحرية هي الاساس الصلب الراسخ الذي تبنى الاشتراكية عليه.

ج ـ تربية المواطن تربية اشتراكية وعلمية، تعتقه من كافة الاطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة لكي يمكن خلق انسان عربي جديد بعقل علمي منفتح ويتمتع باخلاق اشتراكية جديدة ويؤمن بقيم جماعية.

التحويل الاشتراكي للمجتمع يعني ـ من حيث المبدأ ـ تحويل ملكية وسائل الانتاج الخاصة الى ملكية عامة للشعب بأسره، ويلغي الحاجة للوسيط الرأسمالي بصورة نهائية ويجعل دخل الفرد يرتبط مباشرة بعمله وكفاءته ويصهر سائر الطبقات في بوتقة واحدة وهو اخيرا يلغي اقتصاد الربح ويخلق اقتصادا يرتكز على الحاجات.

في البلدان المتخلفة، ومنها وطننا العربي، تأتي الاشتراكية ملبية لهدفين في آن واحد: الاول هو الغاء الاستغلال كليا، والثاني هو القضاء على التخلف الموروث لهذه البلدان واللحاق بالبلدان الصناعية المتقدمة.

ان الاقتصاد العربي هو اقتصاد زراعي بصورة اساسية ولذا فهو اقتصاد مختل ومتخلف في آن واحد.

ان الانطلاق الاقتصادي الذي شهدته بعض البلدان العربية، منذ اواخر الحرب العالمية الثانية، قد توقف، تقريبا، في معظم هذه البلدان، واصبحت معدلات نمو الانتاج اقل من معدلات الزيادة في عدد السكان.

ان توقف هذا النمو وتعثره، ليسا امرا عارضا ومؤقتا بل هما النتيجة الحتمية للنظام الاقتصادي البورجوازي الاقطاعي في وطننا.فالرأسماليات المحلية العربية هي رأسماليات تجارية وعقارية ومرابية وهي بسبب من طاقاتها الضعيفة لا توظف اموالها الا في قطاعات الانتاج الاستهلاكي الخفيف باعتبارها قطاعات مربحة وسريعة المردود ولا تحتاج الى تمويل كثيف، فعجزت عن خلق الشروط الاساسية للتقدم الصناعي، وكان هذا العجز سببا لبقاء الفقر والتخلف، كما انه جعل الهوة الفاصلة بين اقتصادنا وبين اقتصاد البلدان المتقدمة تزداد عمقا واتساعا.

ان ضعف الدخل القومي والادخار الخاص وتوجيه الرأسمال المحلي نحو المضاربات والبحث عن الكسب التجاري والارباح الطائلة السريعة واعمال الربا وبذخ ((المتعطلين بالوراثة)) .. كل هذه العوامل تدعو الى تجنب الطريق الرأسمالية التقليدية للتطور، لانها طريق مسدودة.فالجماهير الشعبية العربية مدعوة اليوم لتحقيق ثورة صناعية حققتها البورجوازية في الغرب الرأسمالي.

الا ان البورجوازية العربية عاجزة عنها بالتأكيد.فالاشتراكية هي الطريق الوحيد للخلاص من التخلف والاستثمار في آن واحد.فالتحويل الحقيقي الكامل للمجتمع العربي، أي ان تحويله الى مجتمع عصري واشتراكي، يمر عبر نسف كامل للبنى الحالية الاقتصادية (الاقطاعية والرأسمالية) للمجتمع العربي.

ان اساليب الاقتصاد الحر الرأسمالي تزيد في انتشار الفوضى الاقتصادية، وتخلق الظروف الموضوعية لتبعية اكيدة للاستعمار الجديد، وتجعل الدولة مؤسسة لنقل الثروات الى الاغنياء وتغذي نشاط الفئات الاجتماعية المتطفلة على الحياة الاجتماعية والفئات المرتبطة بالاستعمار، وتكدس الثروات في جيوبهم، ويبقى الشعب ـ بالنتيجة ـ في بؤسه وتأخره.

ان النظام الرأسمالي البورجوازي، في البلدان المتخلفة، ومنها وطننا العربي، عاجز عن تعبئة اليد العاملة الهائلة المعطلة في الريف، كما انه عاجز عن تنظيم الانتاج تنظيما علميا وتعبئة طاقات البلاد ومواردها المهددة.وتعبئة طاقات البلاد ومواردها المهدورة.

ان العالم الان يقف على عتبة الثورة الصناعية الثانية، التي تهدف الى تحقيق آلية العمل، وان الرأسماليات العربية التي لم تستطع ان تنجز الثورة الصناعية الاولى، عاجزة بالاحرى عن تحقيق الثورة الصناعية الثانية، التي تتخطى متطلباتها امكانيات الرأسمالية العربية بل والرأسمالية الغربية في اكثرية تلك البلدان.واذا ما تحققت الثورة الصناعية الثانية وبقي الوطن العربي عاجزا عن تحقيقها فان تخلف وطننا العربي سيصبح اشد مما هو عليه الان بمراحل طويلة.

لذا فان النظام الاشتراكي، وحده القادر على تجنيد الشعب، بجميع طاقاته المادية والبشرية لتحقيق التقدم العلمي المنشود في عصر التقدم السريع للعلم والتكنيك.

وما دامت تلك الحال بالنسبة للبورجوازية الوطنية، لذا فان اسقاط هذه الطبقة وحلفائها يصبح امرا لا بد منه لتحقيق انعطاف جذري في حياة الشعب العربي.فالسلطة الجديدة التي سوف تبني الاشتراكية هي السلطة الممثلة للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة

(التجارية والصناعية والخدمات).الا ان الثورة الاشتراكية لكي تسير بحزم الى اخر الشوط ولكي تبني مجتمعا قوميا اشراكيا سليما، لا بد ان تعتمد اساسا الجماهير الكادحة.

ان الخطوط الاولية العامة لعمليات التحويل الاشتراكي هي التالية:

١-ان التحويل الاشتراكي للمجتمع وتوفير الظروف الموضوعية لتنمية سريعة للاقتصاد القومي يوجبان تحويل جميع قطاعات الانتاج الهامة ووسائل التمويل والمرافق العامة ووسائل النقل الاساسية والثروات العقارية الكبيرة والتجارة الخارجية والفروع الاساسية من التجارة الداخلية الى ملكية الشعب.

٢-وبسبب ظروف النضال القومي الراهنة في الوطن العربي، ونظرا لان العناصر البورجوازية الصغيرة تشكل احدى القوى الاساسية التي تنهض باعباء النضال، وبسبب اتساعها العددي، فان ادخالها في القطاع الاشتراكي يجب ان يتم بصورة ايجابية، وبعد ان يحرز هذا القطاع نجاحات تحقق نموه ورسوخه، بحيث يصبح اندماجهم في هذا القطاع وليد اقتناعهم بان مستقبلهم مؤمن ومستقر، وان يأتي عبر كفاح دؤوب للتثقيف والتوعية الاشتراكية، وضمن برامج محلية وفقا لظروف كل قطر.

٣-ان التاميم في ظروف البلدان المتخلفة، عندما يتناول القطاعات الهامة للاقتصاد القومي بحيث يتيح للسلطة الثورية الشعبية قيادة الاقتصاد الوطني بصورة كاملة، هو الخطوة الثورية الاولى نحو الاشتراكية، وهو يفتح الطريق امام التحويل الاشتراكي للمجتمع.وفي بلد متخلف لم تتوفر فيه القاعدة المادية للاشتراكية، غالبا ما تنتهي عمليات التأميم الى نظام رأسمالية الدولة.واذا كان لرأسمالية الدولة بعض الجوانب الايجابية، لانها تلعب دورا تقدميا في التطور وتخلق الظروف الموضوعية لبناء الاشتراكية، وتصبح اداة نضال ضد المجتمع القديم، الا ان هذا الجانب الايجابي لرأسمالية الدولة، ينبغي الا يحجب عن الانظار الهدف البعيد للتحويل الاجتماعي، وهو تطوير المجتمع العربي الى مجتمع اشتراكي كامل في ظروفه وخصائصه، لذا ينبغي – منذ البدء – تقييم هذه المرحلة وفق نظرة علمية، وتركيز الانتباه على الظواهر السلبية التي تلازمها، بغية الحد من نموها واستئصالها في النهاية.

ان اولى الظواهر السلبية في رأسمالية الدولة هي اضعاف الديمقراطية الاشتراكية وبروز مخاطر البيروقراطية، التي تمارس ضربا من الوصاية على الجماهير العاملة المنتجة.ان غياب

الطبقات الكادحة عن المشاركة في توجيه البناء الاشتراكي وضعف الطبقة العاملة العددي وتأخرها السياسي، تدفع مخاطر البيروقراطية الى التفاقم.لذا فان تعميق المضمون الديموقراطي للاشتراكية، الذي لا يمكن ان يتوفر الا بفتح الطريق امام مشاركة جماهير العمال والفلاحين في ادارة الاقتصاد هو وحده الذي سيلجم التسلط البيروقراطي على الجماهير.

لذا فان التحويل الاشتراكي للمجتمع سواء تم بواسطة التأميم او عند تحويل الريف تحويلا اشتراكيا ينبغي ان يتلازم مع فتح الطريق لمبادرة الجماهير البناء، بحيث تأخذ هذه المبادرة من الاسهام الجدي الذي يتدرج في قوته واتساعه، الى ان يلقي عبء ادارة هذا الاقتصاد على عاتق الجماهير المنتجة، عندما تمتلك وهي تمارس دورها في البناء ناصية الادارة الاقتصادية والاجتماعية لقطاعات الانتاج.

ان الجماهير الشعبية المنظمة هي البديل الوحيد للبيروقراطية، الذي يملأ في نفس الوقت، الاشتراكية بمضمونها الديمقراطي والانساني، في حين ان البيروقراطية تشوه الاشتراكية وتسلبها مضمونها الانساني .. فالاشتراكية لا يمكن ان تتحقق وتتطور الا مع الجماهير الشعبية المنظمة وبالاعتماد على مبادرتها والثقة بقواها وامكانياتها.

٤-ان المواجهة الاشتراكية لمشكلة الارض تقتضي تحقيق شعار ((الارض لمن يحرثها)) كما انها تتجنب الاصرار على التملك الفردي.ان الهام والجوهري في موضوع الارض هو خلق علاقات انتاج اشتراكية في الريف، لذا فان المزارع الجماعية هي في النهاية الاطار الاشتراكي في الريف.

ان علاقات الانتاج الاشتراكية في الريف، هي التي تمنع نشوء بورجوازية صغيرة في الريف يمكن ان تتحول ــ كما جرى في اوروبا الغربية ــ الى قوة محافظة من الناحية السياسية.كما ان هذا الشكل من العلاقات يهيئ ــ من حيث المبدأ ــ الظروف الموضوعية لرفع انتاجية العمل في الريف ويخلق امكانية اكيدة لتخطيط برامج الانماء الزراعي وتنفيذها.واخيرا، فان هذه العلاقات الجماعية الاشتراكية ستمكن من انتزاع الفلاح من عزلته وفرديته التاريخية، وترفع المستويات الاجتماعية في الريف الى مستوى المدن.

ان مشكلة الارض يجب ان تواجه بمنطق اشتراكي علمي، والاشتراكية كمبدأ ومنطلق تقتضي ثورة زراعية لا اصلاحا زراعيا فحسب.ان الثورة الزراعية هي التي ستفتح الطريق امام انطلاق

اقتصادي سريع في قطاعات الانتاج الاخرى لانها ستفتح سوقا داخلية واسعة عند تحرير جماهير الفلاحين من الفقر والاستغلال.

ان اشراك جماهير الفلاحين ـ بصورة ايجابية ومسؤولة ـ في الثورة الزراعية، واثارة مبادرتهم والاعتماد على قواهم في تطوير الوضع الزراعي هو شرط اساسي في نجاح هذه الثورة.

٥-ان التخلف الاقتصادي والثقافي الذي يعانيه شعبنا يتطلب شحذا خارقا لقوانا في سبيل تطوير المستوى الاقتصادي لشعبنا وتحقيق الثورة الاشتراكية.والتخطيط الاشتراكي هو الطريقة الفعالة التي تمكن من استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقة علمية وعملية:

أ ـ بالرغم من ضعف الدخل القومي في الوطن العربي اجمالا، فان فئات وطبقات هامة في مجتمعنا لا تزال قادرة على الادخار، وان التخطيط هو الذي يمكن من تجميع رأس المال الضروري لبناء صناعة متطورة في زمن قصير نسبيا.

ب ـ وبدون التخطيط فان عمليات الادخار سوف تبعثر في عمليات مرابية او عقارية او في استهلاك وسائل الترف المضرة بميزاننا التجاري.فالتخطيط وحده هو القادر على تنفيذ سياسة التقشف، لتحقيق مشاريع البناء الضخمة وهو اخيرا الذي يمكن من مركزة التوظيف في القطاعات الاكثر اهمية ويمد باهداف التوظيف الى ابعد من حدود الحاضر، ويضع المستقبل نصب عينيه دوما عن طريق تحقيق الانجازات التي تضمن التطور الحقيقي لاقتصادنا الوطني واستبعاد الانجازات المظهرية التي لا تساهم في تنمية الانتاج ومضاعفة المردود.

ج ـ ان التخطيط على المستوى القومي العربي ضرورة وحدوية وضرورة اشتراكية.ان الاطار الليبرالي للاقتصاد يخلق المتناقضات بين الاقطار العربية ويؤدي الى تبذير طاقات الانماء الاقتصادي، لذا فان التخطيط على المستوى القومي يهيئ الظروف الموضوعية لتنسيق مشاريع التنمية بين الاقطار العربية بحيث تتكامل لتساهم في جعل التكامل الاقتصادي العربي حقيقة فعلية تسهم في توثيق عرى الوحدة السياسية بين الاقطار العربية.

٦-ان بناء مجتمع اشتراكي جديد لا يمكن ان يتوفر على نحو كامل وسريع واقتصادي الا بواسطة تعبئة الطاقات البشرية لشعبنا تعبئة كاملة، وان الطلائع الثورية هي التي تسهر

على التطبيق وتضمن له النجاح وتحقق الانسجام اللازم بين الجوانب الفنية للتطوير الاقتصادي وبين متطلباته الانسانية.

ان طليعة شعبية ثورية منظمة هي وحدها القادرة على تعبئة جماهير الشعب واثارة مبادرتها الحارة الدؤوبة التي تستلهم مثلا اعلى يجدد حماسها واندفاعها للعمل اليومي البسيط.

لقد توفر في عدد من الاقطار العربية الشرطان الاساسيان لكل عمل ثوري ايجابي، الا وهما تحرك جماهيري واسع وعميق وطليعة ثورية واعية لقيادة هذا التحرك.ان الاستمرار في اصطفاء وتكوين طليعة واعية من المنظمات الثورية الراهنة ومن صفوف الجماهير اللاحزبية من المثقفين الثوريين والعمال والفلاحين ضرورة لا بد منها لاستمرار العمل الثوري الاشتراكي ورفع مستوياته الايديولوجية وانفتاحه العلمي على الواقع الملموس والمتطور.

ان هذه الطليعة ستعكس بصدق مطامح الجماهير ورغباتها، وتسهم في اعطاء مبادرة الشعب شكلا عمليا وتنمي يقظته وتعطي رقابته المباشرة على الدولة شكلا حقيقيا وفعالا.

ان بناء مجتمع اشتراكي ليس قانونا يصدر من اعلى لينفذ بضربة بيروقراطية، بل هو عمل يومي دؤوب فيه صبر وفيه نكران للذات.وان طليعة ثورية هي وحدها القادرة على قيادة التحرك الجماهيري الذي يعيشه شعبنا، وهي وحدها القادرة على خلق الظروف التي يمكن ان تمنع انحدار الجماهير الى التأرجح بين ركود سياسي سلبي او حماس سطحي مؤقت يجعل المنجزات الاشتراكية ضربا من العلاقات المصلحية الصرفة بين السلطة الثورية وجماهير شعبها.

ان الميزة الاساسية لهذه الطليعة هي الوعي العقائدي والمعرفة الدقيقة لقوانين تحويل المجتمعات وقواعد سير التاريخ، وهذه المعرفة المنفتحة الخاضعة للتطور، هي التي تستطيع تقليل احتمالات الخطأ وتوجه النضال والتجارب الحية في طريق التغيير الثوري، خلال معاناتها المباشرة للواقع وتحليلها له.

٥ ــ ٢٣ تشرين الاول ١٩٦٣

